الفصل الثاني

أخطاء القادة.

المبحث الأول: أخطاء نابليون وهتلر في غزو روسيا

المبحث الثاني: أخطاء القادة في حصار المدن

المبحث الثالث: أخطاء القادة في سياسة الاستدانة.

المبحث الرابع: أخطاء القادة في تسليم المدن

المبحث الأول: أخطاء نابليون وهتلر في غزو روسيا

فرض التاريخ الحربي الاهتمام بالجغرافيا الحربية وفن سوق القوات وتحركاتها وقيادتها، لذلك وجب على القائد أن يكون ملماً بجغرافية الإقليم الذي ستجرى فيه العمليات الحربية، وهذا ما يقودنا إلى كيفية إعداد الجيش وتعبئته وتموينه وطرق موصلاته ويتحمل القائد مسئولية التقصير والإهمال، لذلك وجب مراعاة هذه الشروط التي تتحكم في المعركة [1].

أوصى سيدنا عمر بن الخطاب قائده سعد بن أبي وقاص فقال له: "إذا وطئت أرض العدو تعرف على الأرض كلها كمعرفة أهلها، فتصنع بعدوك كصنعه بك"[2].

وكان زياد بن أبيه [3] (1-53هـ/ 622-672م) وهو أحد دهاة العرب يقول لقواده " تجنبوا اثنين لا تقاتلوا فيهما العدو: الشتاء، وبطون الأودية "[4].

قالت العرب في أمثالها" قتل أرضاً عالمها وَقتلت أرض جاهلها"[5]، وقال المفكر الصيني الشهير سون تسي (Sun Tze) قبل نحو 2500 سنة في كتابه القيّم: "فن الحرب The Art of war " إن أولئك الذين لا يعرفون أحوال الجبال والغابات والأودية الخطرة والسبخات والمستنقعات؛ لا يمكنهم قيادة جيش"[6].

وللظواهر الطبيعية نتائج بانت آثارها واضحة على المجال العسكري، من حيث تعطيل الجيوش من أداء واجبها لعسكري، والقحط الذي سبب نقصان واردات الدولة لتمويل

(1) محمد عثمان أفندى: الجغرافيا وأهمية دراستها، مجلة الجيش المصرى، وزارة الدفاع الوطنى القاهرة، المطبعة الأميرية بولاق، العدد 5، مايو 1939م، ص 233- 236.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت1404هـ، ص118.

(3) زياد بن أبيه: هو زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبِ و لد في السنة الهجرية الأولى، وأمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: زِيَادٌ الْأَمِيرُ، وَوَلِيَ الْبَصْرَةَ لِمُعَاوِيَةَ حِينَ ادَّعَاهُ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الْكُوفَةَ وخراسان وسجستان، توفي بالكوفة في شهر رمضان لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه سنة ثلاث وخمسين. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص 99؛ ابن عبد البر: الإستيعاب، ج2، ص 524؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق: تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995 م، ، ج19، ص 164.

(4) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ، ج6، ص170.

(5) أبو عُبيد القاسم بن سلاّم: الأمثال، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث1980 م، ص 205؛ الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، طبعة: مصر1866م، ص135؛ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص363 ؛ النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيى الدين، دار المعرفة- بيروت، لبنان، ج2، ص 108.

(6) سون إتزو: فن الحرب، دار الكتاب العربى2010، ص34.

الجيوش وتعبئتها، ومنها إيجابية دفعت مخاطر الأعداء، مثل العواصـــف الأعاصـــير التي تدمر السفن العسكرية.

وعن أهمية الظروف المناخية يقدم لنا المرادي في كتابه السياسة والمعروف بالإشارة في تدبير الإمارة مجموعة من الاســـتراتيجيات، حيث يقول " واحتل للشـــمس أن تكون معك وقت اللقاء، وللريح أن تكون معك وقت الهجوم" [1].

ويعتبر المناخ عاملاً مؤثراً في العمليات العسـكرية فلابد في أن تحسـن الجيوش الحسـاب للظروف المناخية المتوقعة أثناء سـ ير العمليات العسـكرية، وكذا حال الطقس السـائدة أثناء القيام بالعمليات العســكرية، فالظروف المناخية تملى على الجيوش إعداد الخطة المســبقة، والتي تتطلب أحياناً إيجاد حلول تتلاءم مع هذه المتغيرات كبناء مواقع تحمى الجنود من البرد والمطر والرياح، كما يعمل الضباب على حجب الرؤية وتقليل مداها، فهو من جانب يوفر البيئة المناســبة للحركة بعيداً عن أعين القوات المعادية بما يوفره من تضليل وخداع وتيه [2].

أما بالنسـبة للتضـاريس نجد أن للارتفاع أثر سـلبي على العمليات العسـكرية فبالإضـافة إلى تعاظم الجهد المبذول مع زيادة الارتفاع تنخفض درجة الحرارة مما يؤثر على كفاءة الجند ويجعلهم تحت سيطرة القوات المعادية [3].

ولقد ســاهمت التضــاريس في نتائج المعارك العســكرية، حيث أن الجبال تمنح للمدافع فرص الصمود، وتتيح فرصة جيدة للرؤية لأي مشهد عام للمعركة، ولكن هناك سلبيات للدفاع في المناطق الجبلية، حيث تضــعف الاتصــال المباشــر بين القائد وجنوده وهو ما يؤدى إلى تفرقها في وحدات منعزلة، أما السـهول فتفرض على القوات التشـتت والتوزيع لتتمكن من حماية الجبهات الطويلة، فهي مكشـوفة للعدو وبعيدة عن التخفي والتسـ تر، كما تتيح السهول للمهاجمين فرصة المراقبة والالتفاف والتطويق للقوات المعادية [4].

(1) محمد بن الحسن المرادى: كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن محمد وأحمد فريد المزيرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص63.

(2) قاسم الدويكات: أثر الجغرافيا فى العمل العسكرى، إعداد وتنسيق أبو سعد الأثرى، سلسلة بحوث الدراسات العسكرية الاستراتيجية، دمشق، د. ت، ص 16 -26.

(3) قاسم الدويكات: المرجع السابق، ص 16 -26.

(4) قاسم الدويكات: المرجع السابق، ص 38، 39.

كذلك الظروف المناخية الشديدة مثل الليالي الممطرة حالكة الظلمة شديدة الريح والثلج تؤثر بشكل كبير على سير العمليات العسكرية، فنجد وصية هامة من عيون الفكر الإسلامي العسكري للخليفة الحكم المستنصر (سنة 362 ه / 972 م) الذي يوصى قائد قواته غالب بن عبد الرحمن ينصحه قائلاً له " وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك، والبحر دونك وربما تعذر ركوبه، فاجعل الطعام ذخيرتك وحفظه تجارتك، واحتط في الطعام جهدك، ووطن على الصبر نفسك "[1].

ولقد عرف العرب مواعيد الإبحار تجنباً للكوارث البحرية فقد ذكر البكري عن السواحل الشمالية للبحر الشامي أنها " إذا صارت الشمس في أول العقرب إلى أن تصير في أول الحوت في هذه الشهور الأربعة لا يستطيع الناس ركوبه وذلك لأن الشمس تتباعد عنه وتحدث فيه الرياح العاصفة وذلك في ناحية الشمال منه "[2].

وخلاصة القول

أن الجغرافية تمثل عمقاً أساسياً لكل التحركات العسكرية، وتؤثر في تخطيط المعارك، وتؤدى دوراً كبيراً في تحديد نتيجتها، وتؤثر بدورها على عمليات الإمداد والتموين، وإن الارتكاز على العوامل والمعطيات الجغرافية ضروري لفهم طبيعة الإمداد والتموين العسكري[3].

أولا: نابليون بونابرت وغزو روسيا

بدأت أحداث هذه القصة في القرن التاسع عشر وتحديداً في عام 1811م، عندما كان نابليون بونابرت[4] يحكم فرنسا كإمبراطور، حيث بلغت فرنسا من القوة في عهده أن

(1) ابن حيان: المقتبس تحقيق الحجى، دار الثقافة – بيروت 1965، ص 135، 136.
(2) البكرى: المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي 1992م، ص209 .
(3) مدحت محمد: الإمداد والتموين العسكرى في الأندلس، رسالة دكتوراه عير منشوره، كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى، قنا 2017م، ص 103 .
4() ولد نابليون بونابرت فى أجاكسو إحدى مدن جزيرة كورسيكا, فى 15 أغسطس 1769م, وكان أبوه يدعى شارل بونابرت وكان يعمل محامياً, وأمه تدعى ليتيزيارا مولينا, إلتحق نابليون بمدرسة برين الحربية وهو فى سن العاشرة من عمره. للمزيد راجع.إبراهيم رمزى: كلمات نابليون ,مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة, القاهرة2014م , ص11.

أصبحت إمبراطورية [1]، ولكن لم يقدر لمثل هذه الإمبراطورية التي بناها نابليون أن تستمر، فما هي إلا أربع سنوات وتبددت هذه الإمبراطورية كالسراب وكأنها لم تكن من قبل، إذا فما الدليل على سيطرة نابليون على إمبراطورية كبرى؟

1-امتدت حدود فرنسا من الدنمارك إلى حدود نابولي.

2-كان يحكم هولندا ملك من أهل نابليون [2]،

3-كان يحكم نابولي ملك من أهل نابليون.

4-كان يحكم واستفاليا ملك من أهل نابليون [3]

5-كان يحكم أسبانيا يوسف أخو نابليون [4]

6-كان يحكم السويد أحد قواد نابليون وهو "برنادوت"[5]

ولكن هل اكتفى نابليون بكل ذلك؟

1() الإمبراطورية: هى كلمة أجنبية تعنى سيطرة شعب على شعوب أخرى, وتسخير هذه الشعوب وخيرات بلادها كلها لمصلحة الشعب المسيطر وأهله، وبلغت مساحة إمبراطورية نابليون عام 1812م حوالي 2,100,000كم مربع، وبلغ عدد سكانها حوالي 60,000,000نسمة، وهي اليوم جزء من 14 دولة منها "لوكسمبورغ –هولندا- توسكانيا- ". للمزيد راجع. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى"التاريخ المعاصر للمسلمون فى الإمبراطورية الروسية", ط2, المكتب الإسلامى, بيروت1994م, ص5..

(3) كان يحكم هولندا شقيق نابليون الذي يدعي "لويس بونابرت " وهو الأخ الثالث لنابليون كانت فترة حياته هي (1846-1778م) عينة نابليون ملكا علي هولندا وأصبح ملكا عليها في الفترة (1810-1806م) رفض لويس المشاركة في النظام القاري حفاظا علي مواطنة ومصالحهم لذلك وجه نابليون قواته للإستيلاء علي العاصمة الهولندية لذلك تخلي لويس بونابرت عن العرش في عام 1810م. راجع.منير البعلبكي: معجم أعلام المورد"موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستفاة من موسوعة المورد"، دار العلم للملايين، بيروت 1992م، ص 123.

3(4) كان يحكم واستفاليا شقيق نابليون بونابرت الصغير الذي يدعي " جيروم بونابرت " الذي كانت فترة حياته (1860-1784م) عينه نابليون ملكا علي واستفاليا وأصبح ملكا عليها في الفترة (1807- 1813م)، رجع إلى فرنسا عام 1813م، شارك مع نابليون فيما عرف في التاريخ باسم الأيام المئة وأشترك كذلك مع نابليون في معركة واترلو، ثم أصبح مارشال عام 1850م، وأصبح رئيس مجلس الشيوخ عام 1852م. منير البعلبكي: معجم أعلام المورد"، ص 123.

4() كان يحكم أسبانيا شقيق نابليون بونابرت الأكبرالذي يدعي "جوزيف بونابرت " الذي كانت فترة حياته (1844-1768م) عينة نابليون ملكا علي نابولي في الفترة (1808-1806م)، وعينة ملكا علي إسبانيا في الفترة (1808- 1813م)، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام (1815م) ثم إلى إنجلترا (1832م) ثم إلى فلورنسا عام (1841م) حيث مات هناك.راجع. منير البعلبكي: المرجع نفسه، ص 123.

5() برنادوت جان باتيست جول: هو مارشال فرنسي قاتل تحت لواء الثورة ونابليون (1763- 1844م)، وتم اختياره وليا لعهد السويد عام (1810م) ولكنة سرعان ما تحالف مع روسيا وبريطانيا وأسهم في أنزال الهزيمة بنابليون في معركة الأمم عام (1813م)، نودي به ملكا علي السويد والنرويج (1818- 1844م) وأصبح يعرف باسم " شارل الرابع عشر"، وبذلك أسس الأسرة الملكية السويدية الحالية.راجع. محمد هادي اللحام وآخرون: القاموس عربي عربي " قاموس لغوي عام يتضمن المصطلحات العلمية والتقنية في الجيولوجيا والكيمياء والفيزياء والمعادن والكهرباء "، دار الكتب العلمية، بيروت 2015م، ص 907.

لم يكتفِ نابليون بكل تلك السيطرة، بل سعى لأن يكون حامى جمهورية الراين [1]، وأصبحت بذلك ولايات ألمانيا طائعة له، وحلم بأن يكون له كلمة على النمسا وبروسيا وقد حقق ذلك الحلم.

ولم يهدأ نابليون بعد ذلك فقد حرص أن تكون روسيا محالفة له وكان له ما أراد.

ولكنه لم يقتنع بكل ما حققه من إنجازات فسطر بيديه آخر سطر دونه في حياة إمبراطورتيه [2] وكان ذلك نتيجة جنون العظمة [3].

بداية النهاية.

كان نابليون يطمح دائما في أن يُكوّن إمبراطورية مثل التي كونها الإسكندر الأكبر، وبذل في ذلك قصارى جهده وابتدع العديد من الأساليب في سبيل هذه الإمبراطورية، فكان دائماً ما يعتز بكونه فرنسي فكما يقولون "الرجل ابن أمته دائماً مهما كان عمله"[4]، ومن أجل ذلك كان يحلم بأن يكون لفرنسا مجد عظيم.

لم يستمر مجد إمبراطورية نابليون لأنه اغتر بقواته وبعتاده فكتب بذلك نهاية لنفسه بيده، فيا ترى ما قصة ذلك؟

قرر نابليون أن يغزو روسيا [5]، وكان ذلك هو بداية النهاية لإمبراطورتيه، لأنه وقع في العديد من الأخطار سنذكرها فيما يلي:

---

(1) كون نابليون اتحاد الراين لفرض حصـــار أوروبي علي البضـــائع الأنجليزية. راجع. يوهان فولفجانج جوته: تاســو، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2009م، ص 14. ؛ وتكون ذلك الاتحاد بعدما ضـم نابليون بعض من أملاك المانيا إلى فرنســا تحت اســم وســتفاليا ونصـــب أخاة جيروم عليها ملكا ثم دمج بعض هذه الدويلات ببعض تحت اســم اتحاد الراين وجعل هذا الاتحاد تحت وصـــايتة.راجع. نظام بركات وآخرون: مبادئ علم السياسة، ط10، مكتبة العبيكان، الرياض 2010م، ص 308.

2() يرى جلال يحيى أن الفرنسيين قد أنهكوا أنفسهم في المعارك الطاحنة التي خاضـوا غمارها مع الانجليز وسـاهمت ثورة الأسـبان في شـبة جزرة أيبريا علي أنهاك جيوش نابليون واستنفاذ قواهم في الوقت نفسة الذي كان أوربا تتكتل وتتحد في وجه الفرنسيين الأمر الذي أدي إلى أن يواجة نابليون القارة الأوربية بأكملها. راجع. جلال يحيى: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصـــر حتى الحرب العالمية الأولي، المكتب الجامعي الحديث، الإســكندرية 1993، ص 337.

3()إبراهيم رمزى: المرجع السابق, ص24.

4() جوستاف لوبون: سر تطور الأمم ,ترجمة: أحمد فتحى زغلول باشا ,المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة2006م, ص15.

5() هى إحدى دول قارة آســيا, تبلغ مســاحتها تقريباً17,100مليون كيلومتر مربع, ويبلغ عدد ســكانها تبعاً لإحصـــائيات عام1988م حوالي 157374نســمة.للمزيد راجع محمد بن ناصـــر العبود: الرحلة الروســية" مشـــاهدات فى جمهورية روســيا الاتحادية وأحاديث فى شــئون المسلمين",1993م,ص5-8.

الخطأ الأول وهو عدم اختيار الوقت المناسب.

كان الخطأ الأول الذي وقع فيه نابليون أنه لم يختر الوقت المناسب؛ لكي يقدم على غزو روسيا [1]، فقد حدث ذلك الغزو في 12 أبريل 1812م [١٦٣] في وقت كانت أوربا تغلى كالمراجل من نابليون، وكانوا يتصيدون الفرص لكي يتخلصوا منه، وقد أعطى لهم نابليون تلك الفرصة بعدم اختياره الوقت المناسب [2]، فكان عليه أن يتمهل قليلاً حتى يثبت أركان

إمبراطورتيه فعلياً ويقضى على بريطانيا عدوته اللدود [3]، ولكي يضمن عدم وجود مقاومة وانقلاب ضده في أوربا، حيث أن لطالما بقيت بريطانيا صامدة بيت المقاومة ضد نابليون [4].

الخطأ الثاني: تعبئة الجيش.

كان الخطأ الثاني الذي وقع فيه نابليون أثناء غزو روسيا هو طريقته الخاطئة في تعبئة الجيش [5]، حيث جهز جيشاً يتراوح من 500 ألف [6] إلى 700 ألف [7] مقاتل وذلك كان من عوامل هزيمته لأن هذه الجيش يحتاج إلى عناء شديد في التنظيم والتحرك فكان على

(5) ZAMOYSKI Adam , 1812"napoleons fatal march on Moscow , harpercollins uk , England2012 , p16

(1) ADAMS Michael , napoleon and Russia , a&c black , england2014 , p262.

3() لم تكن العداوة بين فرنسا وانجلترا وليدة عهد نابليون، بل كانت سابقه لذلك بعدة عهود حيث كانت هناك حروب طاحنة بين الطرفين خسر فيها الطرفين أعداد كبيرة من الرجال والعتاد وكانت هذه الحروب علي سبيل المثال (حرب المائة عام (1453-1337م) – حرب السنوات السبع (1756-1763م) للمزيد من المعلومات عن حرب المائة عام راجع. محمد حمزة حسين، لبني رياض عبد المجيد: تأريخ أوربا في العصور الوسطي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان 2015م، ص 303-311. ؛ فراس البيطار: الموسوعة السياسية والعسكرية، ج6، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2003م، ص2215-2222. ؛ محمود قاسم: موسوعة الحضارات المختصرة، المكتبة الأكاديمية، الجيزة 2013م، ص57.وللمزيد من المعلومات عن حرب السنوات السبع راجع. محمد نمر المدني: أعداء الغرب " فكر لعالم جديد"، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2009م، ص 391. ؛ فراس البيطار: الموسوعة السياسية والعسكرية، ج3، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2003م، ص 1226- 1236. ؛ بدري يونس: العولمة وقضايا الاقتصاد السياسي، دار الفارابي، بيروت 2000م، ص 55-59. ؛ جمال حمدان: استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الهلال، بيروت 2018م، ص 69- 72.

4() يري منير شفيق أن نابليون كان له خطة واستراتيجية فريدة في معاركة في أوربا ولذلك أستطاع السيطرة علي معظم الدول الأوربية وبقيت بريطانيا بعيدة عن ضربات نابليون بسبب امتلاكها أسطول قوي وموقعها أيضا المتميز، ولكنه فشل في روسيا بالرغم من امتلاك تلك الاستراتيجية. للمزيد من المعلومات عن استراتيجية نابليون في حروبه في أوربا راجع. منير شفيق: الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب " من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق "، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2008م، ص 41-48.

(4) WILSON Robert , the invasion of russia"by napoleon Bonaparte and the retreat of the French army 1812 , j.murray , England1860 , p13.

6()إبراهيم رمزى: المرجع السابق,ص24. راجع. محمد قاسم، حسني حسين: تاريخ القرن التاسع عشر في أوربا " منذ عهد الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمي "، ط6، دار الكتب المصرية، القاهرة 1929م، ص 61-67.

7()عبدالعزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعى ,المرجع السابق,ص128.

نابليون أن يذهب إلى روسيا بجيش يكون أقل من ذلك العدد ويترك الباقي في فرنسا لكي يقوم بحماية حدود إمبراطوريته.

الخطأ الثالث: تعدد القوميات.

كان الخطأ الثالث الذي وقع فيه نابليون هو أنه لم يكن جيشه نقيًا من عنصر واحد، فقد كان جيشه مختلطًا [1]، يتكون من فرنسيين وألمان وإيطاليان وإسبان وسويسريين وبرتغاليين وبوليين [2]، وقد أدى ذلك إلى ضعف شديد في الجيش فلم يكن هناك لغة تفاهم أو حوار بين هذه القوميات، ولم يكونوا على قلب رجل واحد بسبب عدم الانسجام فيما بينهم [3].

الخطأ الرابع: عدم تقدير قوة العدو.

وقع نابليون بونابرت في هذه المصيدة فلم يكن يعلم أنه سوف يواجه جيشاً من الروس يتراوح عدده من 300إلى 360ألف مقاتل [4]، وربما لا تكون هناك مقارنة بين أعداد الجيشين لأن الغلبة في العدد كانت في جيش نابليون، ولكن نابليون كان يغفل أنه سوف يواجه جيشاً وشعباً، لأن الروس مثل أي شعب لن يقبلوا بدخول المستعمر أراضيهم ولن يتركوه بدون مقاومة [5].

الخطأ الخامس: خطاء إمداد وتموين

أخطأ نابليون بونابرت عندما دخل الأراضي الروسية بدون أن يقيم له سكنات للجنود وقواعد لتخزين المؤن والأسلحة؛ لكي تمده في رحلته داخل الأراضي الروسية فقد استفاد الروس من ذلك لأنهم أدركوا أن نابليون غفل عن هذه النقطة فلعبوا على هذه النقطة

1()عبدالعزيز سـليمان نوار ومحمود جمال الدين: التاريخ الأوروبى الحديث "من عصـر النهضـة حتى نهاية الحرب العالميه الأولى", دار الفكر العربى,القاهرة 1999م,ص304.

2() عبدالعزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعى,المرجع السابق,ص128.

(4) GOMPERT David c. and others , blinders blunders and wars"what America and china can learn , rand corporation , usa2014 , p43.

4()إبراهيم رمزى: المرجع السابق,ص24.

5()عبدالعزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعى ,المرجع السابق,ص129.

وأخذوا يستفزوا الفرنسيين لكي يبعدوهم عن طرق مواصلاتهم الأساسية؛ لكي يستنقذوا أكبر قدر ممكن من موانهم وطاقات جنودهم[1].

الخطأ السادس: الخطأ العسكري.

وقع نابليون في هذا الخطأ عندما حدث أول صدام بينه وبين الروس عند مدينة سمولنسك[2]، وقد ضرب نابليون هذه المدينة بمدافعه ولم تكن المقذوفات تؤثر فيها فهرب أهلها عنها ثم دخلها نابليون، ولكنه لم يجد بها أي مأوى لجنوده[3]، وقد وقع نابليون في هذا الخطأ لان الروس قد انسحبوا من أمامه وأغروه في التوغل أكثر في الأراضي الروسية وذلك كان سبب من أسباب تدمير جيشه وهزيمته[4].

الخطأ السابع: خطأ إقامة

بعدما انتصر نابليون في مدينة سمولنسك أغراه ذلك إلى التقدم نحو العاصمة موسكو، وهنا كانت المفاجأة!

فعندما دخل نابليون بونابرت مدينة موسكو وجدها خالية من السكان عن بكرة أبيها، وبمجرد وصول أعداد جنوده كاملة إلى هذه المدينة حتى أظلم الليل[5]، أمر حاكم المدينة الروسي أن يشعل بها النيران لكي يحرم نابليون من المؤن التي كان بالمدينة، وقد أخطأ نابليون عندما ظل في هذه المدينة شهراً كامل بعد إحراقها ينتظر أن يعرض عليه قيصر[6]روسيا الصلح، فهو بذلك الانتصار قد حرم الجنود من المؤن وساعد على هلاك جيشه بنفسه، فكان عليه أن يرجع منسحباً إلى الأراضي الفرنسية[7].

1()عبدالعزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعى,المرجع نفسه,ص128.

2()هى مدينة روسية على نهر الدينيبر يسكنها 80ألف نسمة, إنتصر فيها الفرنسيون عام 1812م على الروس.للمزيد راجع.ليوتولستوي: الحرب والسلم,ج3, ت.صياح الجهيم, مكتبة مدبولى ,القاهرة1996م,ص11.

3()إبراهيم رمزى: المرجع السابق,ص24. للمزيد من المعلومات عن نابليون في روسيا.راجع. جرانت, هارولد تمبرلي: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشريين " 1789- 1950م، ت: بهاء فهمي، ط6، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1950، ص 249-265.

(4) FREEMAN G. William , the holy terror"captain William Nichols , authorhouse , usa2015 , p98.

(5) LONGLEY David , the longman companion to imperial Russia(1689-1917) , routledge , england2014 , p420.

6() جاء لقب القيصر من إسم عائلة يوليوس قيصر الذى حكم روما بغير تاج من 49إلى 44 ق.م,وحمل هذا اللقب أيضا عدد من حكام روسيا وألمانيا وكان إيفان الرهيب هو أول من حمل اللقب فى روسيا فى سنة1547م,وأخرهم نيقولا الثانى1868إلى 1918م.للمزيد راجع.أحمد المنزلاوى: شهر رمضان فى الجاهلية والإسلام, دار الجمهورية للنشر والطباعة,القاهرة2013م, ص218.

7() عبدالعزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعى,المرجع السابق,ص129.

الخطأ الثامن: خطأ المواجهة

أخطأ نابليون عندما التحم بجيشه الذي يبلغ 700ألف مقاتل مع الجيش الروسي الذي يقوده القائد كوتوسوف[1] في موقعة "بورودينو" 7سبتمبر 1812م [2] التي ظلت من أول النهار إلى منتصف الليل، وقد كان الجيش الفرنسي مرهقًا من بعد المسافة التي قطعها حتى يصل إلى هذه المنطقة ولم يشترك في هذا الجيش من الفرنسيين أو من الروس سوى 120ألف من الجنود في الفريقين، وخسر الروس 90 ألف فتيل، فأغرى القائد الروسي كوتوسوف نابليون بأنه قد خسر لأنه قتل من عدد جيشة 90ألف مقاتل، وبدأ بالانسحاب إلى داخل الأراضي الروسية (متبعاً سياسة الأرض المحروقة)، وقد صدق نابليون هذه الخدعة الحربية فبدأ بتتبع القائد الروسي كوتوسوف في عمق الأراضي الروسية فوقع في الشرك الذي نصبه القائد الروسي الفذ فكان ذلك أحد أسباب هزيمة نابليون بونابرت في روسيا[3].

الخطأ التاسع: العودة من نفس الطريق.

أخطأ نابليون عندما عاد من نفس الطريق الذي جاء منه لأن الروس قد نصبوا له الكمائن على ذلك الطريق [4]، وقاموا بقتل الجيش الفرنسي ليس عن طريق المواجهة المباشرة ولكن عن طريق الهجمات الخاطفة، فكان يجب على نابليون ألا يقع في ذلك الخطأ، فمن الطبيعي لقائد عسكري فذ ألا يرجع من نفس الطريق الذي جاء منه وخصوصاً أنه طريق غير آمن [5].

1() ولد القائد ميخائيل كوتوسوف فى سانت بطرسبرغ سنة 1745م ودخل فى خدمة الجيش الروسى برتبة عريف وهو فى الرابعة عشر من عمره وقد استخدم هذا القائد استراتيجية الحرب التشتيتيه أثناء مطاردة جيش نابليون بعد انسحابه من موسكو إلى فرنسا. للمزيد راجع.السيد ابن حسين العفانى: أنوار الفجر فى فضائل أهل بدر,ج1, دار ماجد عسيرى, جدة2006,ص494.

2() هي أكثر المعارك دموية في التاريخ وهي من ضمن هي حروب نابليون في روسيا وقعت أحداثها في 7سبتمبر 1812م نتج عنها مقتل 35 ألف جندي فرنسي ولكن أنتصر فيها الفرنسيون في النهاية ولكن الروس يتفاخرون بأنهم صمدوا في هذه المعركة ولم يعطو نابليون الفرصة في القضاء عليهم أو الدخول معهم في حرب واحدة ونهائية، فقد ذكر ذلك نابليون بنفسة عندما قال: "إن أسوا معركة خضتها في حياتي كانت تلك التي وقعت قرب موسكو لأن الفرنسيون أظهروا أنفسهم بمظهر مستحقي النصر ولكن الروس أظهروا أنفسهم بمظهر غير المقهورين ".راجع. نجأة سليم محمود: معجم المعارك التاريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان 2011م، ص 112- 113.

3()إبراهيم رمزى: المرجع السابق,ص25.

(2) ARNOLD Eric a. , a documentary survey of Napoleonic france a supplement , university press of America , usa1996 , p23.

(5)عبدالعزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين, المرجع السابق, ص304.

الخطأ العاشر: عدم المعرفة بالمناخ.

وقع نابليون بونابرت في خطأ فادح وهو عدم درايته الكاملة بأحوال الطقس والمناخ في روسيا [1]، وخاصة بأن الثلوج كانت تتساقط بكثرة، وقد ساعدت هذه الثلوج على القضاء على الجيش الفرنسي [2]، لأن الفرنسيين غير معتادين على هذا الطقس الذي أدى إلى إصابة الجنود بالروماتزم [3]، حيث كانت تقل درجة الحرارة عن خمس وثلاثون درجة تحت الصفر، هذا الأمر الذي أدى إلى هلاك الجيش بأكمله ولم يتبقى منه إلا حوالي 100ألف مقاتل [4].

ثانيا: هتلر ومحاولة غزو روسيا

بدأت أحداث هذه المحاولة عندما قامت الحرب العالمية الثانية [5]، وكان صاحب هذه المحاولة هو أدولف هتلر [6]، فكان هتلر كثيراً ما يفكر في أن للألمان أفضلية على باقي الشعوب لأنهم من الجنس الآري [7]، وذلك ما دفعه لخوض كل تلك الحروب في أوربا،

1()على أحمد هارون: أسس الجغرافيا السياسية, دار الفكر العربى ,القاهرة1998م. ص97.

(5) PRICE Munro , napoleon"the end of glory , oxford university press , england2014 , p5.

3()الرومتزم هو مرض يصيب العصام وينتجع عن إلتهاب حاد فى المفاص الزليلية.للمزيد راجع.جنيفر وورال: داء المفاصل والرومتزم,ت.هنادى مزبودى,مكتبة الملك فهد الوطنية ,الرياض1434ه,ص21-24

(4) جلال يحيي: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولي، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ب.ت، ص 338-339.

5() الحرب العالمية الثانية (1939م -1945م) أكبر صراع عالمي مسلح في التاريخ وقعا أحداثها بعد نهاية الحرب العالمية الأولي بعشرين عام وتتميز هذه الحرب بكونها أكثر استخداما للتكنولوجيا، ويمكن حصر أسباب قيام الحرب العالمية الثانية في النقاط التالية 1- الشروط القاسية التي فرضتها الدول المنتصرة علي الدول المهزومة في الحرب العالمية الأولي.2- مشكلة القوميات. 3- ظهور الأنظمة التوتاليتارية (الشمولية) وهذا النوع من الأنظمة لا يعترف بحرية الفرد. يستعمل مفهوم «التوتاليتارية» لوصف ثلاثة أنظمة اجتماعية-سياسية مختلفة وهي: إيطاليا الفاشية، ألمانيا النازية، وروسيا الستالينية. وأطلق اللفظ أيضًا الصين في عهد ماو تسي تونج، وكوريا الشمالية تحت حكم كيم إيل سونج وخلفائه. 4- فشل عصبة الأمم. 5- فشل سياسة الترضية. 6- التنافس الاستعماري. 7- ظهور الأحلاف العسكرية. 8- التحالف الروسي الالماني المتمثل في اتفاقية "روبنتروب – مولوتوف". 9- وكان السبب المباشر لقيام تلك الحرب في أزمه اقليم اغدانسك ذلك الإقليم الذي أجبرت ألمانيا بالتنازل عنه لبولندا في معاهده فرساي (1919م).للمزيد من المعلومات عن الحرب العالمية الثانية وأسبابها وأحداثها راجع. محمود أنس العلي: الحرب الباردة والصراع بين القوي العظمي "فترة مابعد الحرب العالمية الثانية "، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان 2016م، ص 7-10.

6()أودلف هتلر: هو سياسى ألمانى نازى ولد فى 20 أبريل 1989م فى مدينة برونو بالنمسا وأصبح مستشارا على الرايخ الألمانى عام 1933م,وإستطاء أن يثبت دعائم حكمه فى ألمانيا وأن يقود الشعب الألمانى فى الحرب العالمية الثانية. للمزيد راجع.نخبة من القادة العسكريين الفرنسيين: 2194يوما من أيام الحرب العالمة الثانية "يوميات معززة بالصور والوثائق السرية",ج1,الدار العربية للموسوعات,بيروت1994م,ص9.

7() يعتقد الألمان أنهم من الجنس الآري وفي رأيهم أن الجنس الآري قد ساد قديما مناطق نفوذ الأتراك واليهم ترجع اللغات اللاتينية واليونانية والفارسية وأنهم يمتازون بالقوة البدنية والعقلية. راجع.حسين مؤنس: الحضارة " دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978م، ص 41. ولكن في الحقيقة أن الآريون شعب قديم موطنة الأصلي شرق أوربا تحرك من موطنة الأصلي ونجح في الاستيلاء علي إيران من شمال غرب الهند في سنة 2000ق.م تقريبا. ويتفرع من اللغة الآرية عدة لغات أولها 1-الجرمانية وينسب لها من يتكلم (الأيسلاندي- النرويجي – السويدي – الدانيماركي – الإنجليزي – الهولندي) 2-اللغة الصقلابية وينسب لها من يتكلم (الصربية- البلغارية – البوهيمية

وليس ذلك فحسب بل دفعه أيضاً إلى أن يغامر ويغزو منطقة هي من أصعب المناطق على الإطلاق ألا وهي روسيا[1].

لم يستفد هتلر من محاولة نابليون في غزو روسيا من قبل بل كرر نفس الأخطاء وبنفس الطريقة وكأنه لم يقرأ التاريخ، فهناك تشابه بين نابليون وهتلر يكاد يصل إلى حد التطابق[2] ويمكننا حصر هذه الأخطاء فيما يلي:

الخطأ الأول: عدم اختيار الوقت المناسب

وقع هتلر في نفس الخطأ الذي وقع فيه نابليون وهو عدم اختيار الوقت المناسب لغزو روسيا[3]، وقد حدث ذلك في عام1941م، فكان هذا الغزو وبالاً على ألمانيا [4]، فقد كان من الافضل أن يقرأ هتلر الأحداث السياسية والعسكرية التي تمر بها أوربا في ذلك الوقت [5]، فقد كانت أوربا كلها تتصيد له الخطأ، وقد أعطى لهم هذه الفرصة بغزوه لروسيا[6].

– البولونية – الروسية) 3- الهندية، 4- الفارسية، 5- الأرمنية، 6- اليونانية، 7- اللاتنية. راجع. طنطاوي جوهري المصري: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ت: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت 2016م، ص 63.

(1) HOTH Hermann , panzer operations"Germanys panzer group 3 during the invasion of Russia 1941 , casemate , usa2015 , p29.

2( ) ومن الغرائب مدي التشابه بين نابليون وهتلر الذي يكاد يصل إلى التطابق وخصوصا فى رقم (129) فهذا الرقم يتكرر في عدة مواضع بين الشخصيتين كالتالي المرة الأولي في قيام الثورة حيث قامت الثورة الفرنسية عام(1789م) وقامت الثورة الألمانية سنة (1918م) والفرق بينهما 1918م-1789م =129وبذلك يكون الفرق بين قيام الثورتين 129 عام، المرة الثانية في التشابه في استلام الحكم حيث استلم نابليون بونابرت الحكم بعد الثورة الفرنسية سنة (1799م) واستلم هتلر الحكم في ألمانيا سنة(1928م) والفرق بينهما 1928م-1799م=129 وبذلك يكون الفرق بين استلام الحكم في عهد نابليون وهتلر 129عام، المرة الثالثة توج نابليون بونابرت إمبراطور علي فرنسا سنة(1804م) وتسلم هتلر الحكم في ألمانيا سنة (1933م) والفرق بينهما 1933م-1804م=129 وبذلك يكون الفرق أيضا بينهما 129عام، المرة الرابعة في الحملة علي روسيا حيث بدأت حملة نابليون علي روسيا سنة (1812م) وبدأت حملة هتلر علي روسيا عام (1941م) والفرق بينهما 1941م-1812م=129 وبذلك يكون الفرق في حملة كل منهم إلى روسيا 129عام، المرة الخامسة خسر نابليون في معركة واترلو سنة(1815م) وخسر هتلر في سنة (1944م) والفرق بينهما 1944م-1815م=129 وبذلك يكون أيضا الفرق في خسارة كل منهم 129 عام.راجع. سعد رفعت: عجائب في عجائب، دار اليقين، القاهرة 2010م، ص 55-56.

(3) BUCHANAN Patrick j. , Churchill. hitler. And the unnecessary war"how Britain lost its empire and the west lost the world , crown publishers , usa2008 , p366.

4( ) ألمانيا: هي أحدي دول أوروبا وتقع تحديد في غرب أوروبا يحدها من الشمال بحر الشمال والدنمارك وبحر البلطيق، ومن الجنوب النمسا وسويسرا، ومن الشرق بولندا والتشيك، ومن الغرب فرنسا ولكسمبورغ وبلجيكا وهولندا، عاصمتها برلين مناخها معتدل بشكل عام علي السواحل، وبارد في الجبال، تبلغ مساحتها 3357021كم مربع، ويبلغ عدد سكانها 802087316 نسمة، وتبلغ كثافتها السكانية حوالي 90%، ومن أهم مدنها هي " هامبورغ – ميونخ – كولونيا – فرانكفورت "، يوجد بها العديد من المنتجات الزراعية مثل" البطاطا – الشعير – القمح " ويوجد بها أيضا العديد من الثروات المعدنية مثل " الفولاذ – الألمنيوم – " وبها العديد من مصادر الطاقة مثل " الفحم الحجرى – الغاز الطبيعي". راجع. موريس أسعد شربل: موسوعة بلدان العالم بالأرقام، ت: كمال حنا، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1999م، ص56- 57.

5( ) بدأت كفة الحلفاء ترجح لصالحهم بداية من 15 مايو 1943م، فقد بدأت ألمانيا تتلقي الضربات من كل اتجاه حيث بدأ البريطانيون والأمريكيون يضربون جيوش ألمانيا في شمال إفريقيا ؛ فأضطر الألمان إلى التقهقر إلى بلادهم وبعدما حقق الحلفاء الانتصار علي الألمان في شمال إفريقيا، توجهوا لغزو صقلية ثم واصلوا للأراضي الإيطالية، وفي نفس الوقت انهارت دفاعات هتلر في فرنسا وفي يوليو 1944م فتحت الولايات المتحدة جسر جوي وصلت عبر ة قوات قوامها 150 ألف رجل كل شهر وشحنات ومعدات وذخائر عسكرية بلغ عددها 150 طن كل شهر، وبحلول صيف 1944م تحركت 6 جيوش إلى حدود ألمانيا الغربية، وفي نفس الوقت كانت روسيا تخطط لكي تشن هجوم عبر بولندا بإتجاه برلين، وبذلك قد طوق هتلر نفسه ووقع في المصيدة. راجع. لويس سنيدر: أدولف هتلر الرجل الذي أراد عمليا احتلال العالم، ترجمة: طارق السيد خاطر، ط3، مكتبة ابن سينا، القاهرة 2001م، ص 174- 176.؛ للمزيد من المعلومات عن أوضاع أوربا قبل غزو هتلر لروسيا.راجع. عبد اللطيف الصباغ: تاريخ أوربا المعاصر، ص 55-81.

6() نخبة من القادة العسكريين الفرنسيين: المرجع نفسه,ص44.

الخطأ الثاني: تعبئة الجيش

قاد القائد الألماني أدولف هتلر جيش قوامه 4 مليون الفرصة؛ لكي يلقى بهم في مجاهل الأراضي الروسية [1] التي سبق وألقى نابليون بجنوده من قبله، فقد كان على هتلر أن يقود جيشاً أقل من هذا العدد لأن هذا العدد سوف يعوقه في التقدم، وقد أعطى هتلر الفرصة للدول التي تحاربه أن تتنفس الصعداء، ويفكروا في كيف يتخلصوا منه [2]؟

الخطأ الثالث: تعدد القوميات

وقع فيه هتلر في الخطأ نفسه الذي وقع فيه نابليون من قبله وكأن التاريخ يعيد نفسه، حيث أنه لم يكن جيشه نقى من عنصر واحد، فقد تكون جيشه من جنود من إيطاليا وهنغاريا ورومانيا وفنلندا، وقد أدى ذلك إلى ضعف شديد في الجيش فلم يكن هناك لغة تفاهم بين هذه القوميات ولم يكونوا على قلب رجل واحد [3].

الخطأ الرابع: عدم تقدير قوة العدو

وقع أدولف هتلر في هذه المصيدة كوقوع نابليون بالضبط وكأن بينهما اتفاق، فلم يكن يعلم أنه سوف يواجه جيشاً وشعبًا من الروس، فقد اغتر هتلر بعدد قواته التي تبلغ 4مليون مقاتل وجردهم جميعاً لغزو روسيا، ولم يكونوا يعلموا أن مصيرهم الإبادة

(3) MITCHAM Samuel w. , the men of Barbarossa"commanders of the german invasion of Russia 1941" , casemate , usa2009 , p37.

2()هربرت فيشر: تاريخ أوربا فى العصر الحديث"1789-1950م",ط6,ت. محمد نجيب هاشم ووديع الضبع, دار المعارف القاهرة1984م,ص683.

3() هربرت فشر: المرجع السابق,ص680 -681.

[1]فلم يكن يتوقع هتلر هذه المقاومة من الروس، وكان يظن أنهم سوف يستسلمون له بسهولة أمام هذا الجيش الجرار [2].

الخطأ الخامس: الإمداد والتموين

أخطأ هتلر عندما أقدم على غزو روسيا بدون خطة متوازنة، [3] حيث كانت خطته قائمة على أنه سوف يحسم غزو روسيا في فترة وجيزة، واعتقد أن المعركة لن تطول كل هذه المدة[4] فقد كان عليه أن ينشئ محطات تموين لهذا الجيش الضخم يمدهم بالمؤن والأسلحة والذخيرة، وكأن هتلر لم يستفد من خطأ نابليون، فلابد من هذه القواعد في الحرب فبدونها لا يستطيع التوغل في مساحات شاسعة في الأراضي[5].

الخطأ السادس: خطأ عسكري

وقع هتلر في مصيدة التشتت التي كلفته خسائر مادية وبشرية، وأصبحت ألمانيا من بعدها مكبلة من قبل دول أوربا التي فرضت عليه العديد من المعاهدات التي

(1) استخدمت الجيوش الروسية خطة المراوغة والاستدراج في هزيمة الجيش الألماني. راجع. محمد فؤاد شكرى: ألمانيا النازية " دراسة في التاريخ الأوروبي المعاصر 1939-1945م"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2018م، ص 79. يذكرنا استخدام الروس لاستراتيجية الحرب الخاطفة ونصب الكمائن، بنفس أسلوب الحرب الذي كان يتبعه سابقا السلاجقة وساعد هذا النوع من التكتيك الحربي السلاجقة بالاستغناء عن الألتحام في معارك باعداد ضخمة من الجنود وساعد أيضا علي أمكانية كسب المعارك حتى ولو كان لديهم عجز في عدد الجنود، فليس المهم هو أن تمتلك جيش جرار ومعدات لا تقهر ولكن المهم هو كيفية إدارة ما تحت يدك من موارد وذلك مالم يفهمه هتلر، وظهر ذلك التكتيك الحربي من قبل السلاجقة واضحا في معركة ملاذكرد عام (463ه – 1071م).وللمزيد من المعلومات عن معركة ملاذكرد واستخدام تكتيك المراوغة والحرب الخاطفة راجع. علي محمد محمد الصلابى: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2006م، ص 78- 84.؛محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط3، دار النفائس، بيروت 2009م، ص 112-117.؛ بسام العسيلي: الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، دار النفائس، بيروت 1983م، ص 15-34.

2() سايمون آدامز: مشاهدات علمية" الحرب العالمية الثانية ,نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع,القاهرة2008م,ص46.

3() في 22 يونيو 1941م بدأت عملية غزو روسيا عرفت في التاريخ باسم " عملية باباروسا " من قبل الألمان.راجع. فادي أسعد فرحات: حدث في مثل هذا اليوم " من 1مايو إلى 13أغسطس "، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2018م، ص 168.وكانت خطة هتلر في غزو روسيا تقوم علي ثلاث أجزاء فيقوم بتقسيم جيشة إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولي هدفها احتلال بلدان البلطيق وحصار لينجراد وتقوم هذه المجموعة بتنفيذ مهمتها عن طريق التحرك من الشمال، أما المجموعة الثانية فكانت مهمتها احتلال موسكو وهي تتكون من جيش الوسط الألماني، أما المجموعة الثالثة مهمتها تأمين حقول النفط في القوقاز ومركزها في الجنوب.راجع. عصام عبد الفتاح: أطلس الحربيين العالميتين " الأرض والحرب والسلام"، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة 2015م، ص 122-123.

(4) يذكرنا تقسيم هتلر لقواته في غزو روسيا بنفس التكتيك الحربي الذي استخدمه الصليبيون في الحملة الصليبية الأولي في معركة دوريليوم التي وقعت في 1يوليو 1097م التي كانت قائمة علي تقسم القوات حتى لا يسهل هزيمتها من قبل المسلمين.للمزيد من المعلومات عن معركة دوريليوم راجع. راغب السرجاني: قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، ط2، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2009م، ص 95-104. ؛ محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية "1095-1291م"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2000م، ص 29-30. ؛ قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1990م، ص 102.

5() سايمون آدامز: المرجع نفسه,ص44.

بمقتضاها دفعت ألمانيا مبالغ باهظة، وخسرت بسببها الكثير من الأراضي التي استولى عليها هتلر من جراء غزوه للأراضي الأوروبية، حيث أن هتلر قد شتت نفسه في أكثر من جبة عسكرية قتالية [1]، وذلك قد أعطى الفرصة لدول أوربا أن تنتقم منه [2].

الخطأ السابع: خطأ إقامة

أخطأ هتلر خطأً فادحًا عندما صمم على غزو مدينة "ستالينجراد [3]" لموقعها الاستراتيجي

فقد أدت إقامة هتلر في هذه المدينة إلى أن تكبد الألمان خسائر فادحة، [4] واستسلموا في عام 1943م، وبذلك كانت مدينة ستالينجراد الصخرة التي تحطمت عليها أحلام هتلر في غزو روسيا [5]، فكان عليه أن يعود مسرعاً في أول سنوات ذلك الغزو إلى ألمانيا ولا يبقى كل هذه المدة في روسيا لأن البقاء لا فائدة منه، حيث أن قد نفذت المؤن، وهدد الجيش بالهلاك، وكل ذلك لم يدفع هتلر إلى سحب جيشه من روسيا؛ لأنه لم يشعر بمعاناتها، فقد هلك منه مليون مقاتل [6].

الخطأ الثامن: عدم المعرفة بالمناخ

لعب المناخ في روسيا دروراً مهماً في حسم غزو هتلر لروسيا، حيث أنه يختلف مناخ روسيا

---

(1) LUKACS John , june 1941"hitler and stalin" , yale university press , usa2006 , p26.

2()شوقى عبدالله الجمل وعبدالله عبدالرازق إبراهيم: تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة,المكتب المصرى للنشر,القاهرة2000,ص270,271.

3() لم تكن مدينة ستالينجراد تعرف بذلك الاسم بل كانت تعرف باسم فولجا جراد وكانت تقع علي الضفة الغربية من نهر الفولجا في روسيا وهي من المدن الصناعية المهمة في روسيا تنتج الألمونيوم والجررات والآلآت وقد سميت المدينة ستالينجراد تكريما للزعيم السوفيتي جوزيف ستالين.راجع. حسام الدين إبراهيم: موسوعة مدن العالم، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م، ص 142. ؛ وقد سعي الألمان للسيطرة عليها من أجل استخدام النهر للتوغل في أعماق روسيا والوصول إلى بحر قزوين. راجع. ضياء عبد المحسن محمد: الجغرافيا البولويتيكية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان 2015م، ص 184.

(4) WARD Fred l. , picking up the pieces"the battle of iwo jima , xlibris corporation , usa2006 , p32.

(5) يحد روسيا من الشمال المحيط المتجمد الشمالي وبحر البلطيق، ومن الجنوب البحر الأسود، ومن الشرق الأقصى المحيط الهادئ، ومن شرق جبال الأورال تحدها كازاخستان والصين ومنغوليا، وتحتوي روسيا علي مجموعة كبيرة من الموارد الطبيعية علي رأسها (النفط – الفحم – الغاز الطبيعي – الماس) ويسود روسيا المناخ القاري الذي يتسم بفارق كبير في درجات الحرارة بين الصيف والشتاء حيث يكون الشتاء بارد جدا والصيف حار جدا، ويصل عدد سكان روسيا حسب إحصائية (2014م) إلى حوالي (148,8مليون نسمة) والمجتمع الروسي مجتمع متعدد العرقيات حيث يبلغ عدد المجموعات العرقية حوالي (130جماعة) عرقية، ويعتبر المجتمع الروسي أكبر المجموعات العرقية حيث يستحوذ وحدة علي حوالي (5و81%) من إجمالي المجموعات العرقية في العالم، وتعرف روسيا التنوع الديني، حيث يسكنها المسيحية الأرثوذكسية والإسلام حيث يصل عدد المسلمين فيها إلى حوالي (19مليون مسلم) وهي ثاني أكبر طائفة دينية في روسيا ويتمركز معظمهم في (الشيشان – داغستان – أوسيتيا الشمالية – تتارستان).للمزيد من المعلومات عن روسيا راجع. نجاة محمد مدوخ: السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة " دراسة حالة سوريا 2014/2010"، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان 2018م، ص 69-71.

6()سايمون آدامز: المرجع السابق,ص44.

عن مناخ ألمانيا من حيث شدة البرودة[1]، فقد بدأت هذه المشكلة مع الألمان منذ أن وطئت اقدامهم الأراضي الروسية في عام 1941م، واستمرت حتى معركة "ستالينجراد" فقد وصلت درجة الحرارة في بعض الأوقات إلى 40 درجة مئوية تحت الصفر، وقد أدى ذلك إلى تجمد الطعام ومخزون المياه مع الألمان، واضطر الجنود إلى إذابة الجليد عن الماء بالنار، وبالرغم من ذلك لم تستسلم ألمانيا لظروف الطقس، بل استمرت في القتال، ولكن لم يدم ذلك الصمود، حيث قامت بإلقاء مئة ألف قنبلة ومئتان ألف قذيفة على "لينجيراد"، ولكن كان للطقس دوراً آخر لهذا الغزو، فبالرغم من أن حصار لينجراد دام مئة يوم إلا أن كان مصيره الفشل بسبب ذلك الطقس، وأمام هذا الحصار وقع حوالي 91ألف ألماني أثير في أيدى الروس، وقد كانت أحذيتهم مصنوعة من الجلد الصلب وضيقة جداً بحيث لا تسمح لهم بارتداء العديد من الجوارب فوق بعضها لتدفئة أقدامهم، فابتكروا بعض الأحذية المصنوعة من القش لكي تساعدهم على ذلك وأيضاً على المشي فوق الجليد[2].

المبحث الثاني: أخطاء القادة في حصار المدن

أولا: مَسلمة بن عبد الملك وحصار القسطنطينية.

وقعت أحداث هذه الغزوة في عهد الدولة الأموية (41- 132 هـ/ 662- 750 م) وتحديداً في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك(99-96 ه / 715- 717م) [3] الذي كان يريد أن يفتح القسطنطينية لنشر دين اللّه وإزالة العائق الأكبر (الإمبراطورية البيزنطية التي تقف أمام هذا الأمر، ولأن سيطرة المسلمين على القسطنطينية سوف يؤدى إلى إتمام سيطرة المسلمين على بلاد الشام وبلاد المغرب العربي ويحمى الحدود الإسلامية من غارات

1()وليم ب.برور: الأسلحة السرية فى الحرب العالمية الثانية,ت.سميح أبو فارس,مكتبة العبكيان,الرياض2003م,ص220.

2() سايمون آدامز: المرجع السابق,ص44-47.

3() هو سليمان بن عبد الملك بن مروان تولي الخلافة بعد أخيه الوليد بن عبد الملك وكان يكني باسم سليمان أبو أيوب، وكان من خيار ملوك بني أمية، كان فصيحا مفوها مؤثرا للعدل محبا للغزو، ولد سنة 60هـ، وكان عمر بن عبد العزيز بمثابة الوزير له فكان كالناصح له وكان سليمان يمتثل لأمره في عمل الخير، توفي يوم الجمعة 10صفر سنة 99هـــ وعنده 45سنة.راجع. ابن الجوزي: الأذكياء، تحقيق: تركي بن الحسن الدهماني، دار أمواج للنشر والتوزيع، عمان 2012م، ص 231.

البيزنطيين، وبذلك سيحصل الخليفة سليمان على تأييد المسلمين له في كل البلدان لأنه سوف يحقق حلم يراود المسلمين وهو فتح القسطنطينية، حيث أن النبي محمد e قد بشر بهذا الفتح عندما قال: " أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم"[1].

وقد ورد عن النبي (صلى اللّه عليه وسلم) أنه قال: " لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ"[2]، وبذلك كانت لمدينة القسطنطينية، [3] مكانة كبيرة في نفوس البيزنطيين والمسلمين، فقد حاول المسلمون فتحها للحصول على كرم بشارة الرسول (صلى اللّه عليه وسلم) وقد جردوا لذلك العديد من الحملات العسكرية [4]، ولكن كان مصير تلك الحملات الفشل، وهنا سوف نتطرق إلى أسباب فشل واحدة من تلك الحملات وهي حملة مسلمة بن عبد الملك (98ه / 716م) [5]، والتي تتمثل أخطاؤها في التالي:

الخطأ الأول: خطأ التوقيت

لقد أخطأ الخليفة سليمان بن عبد الملك (99-96 هـ / 715- 717م) عندما أرسل

1()على محمد الصلابى: الدولة الأموية"عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار",ج1,ط2, دار المعرفة, بيروت2008م, ص350.
2() بن أسد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ج31، مؤسسة الرسالة، بيروت 2001م، ص287.

3() تقع مدينة القسطنطينية على ضفاف البسفور, وقد عرفت بعدة أسماء, فقد عرفها السلاف بإسم "مدينة الإمبراطور", وقد عرفها اليونان والرومان بإسم "بيزنطة" "Byzantium" ثم أصبحت تعرف بإسم "قسطنطينو بولس" "Constantinu Polis" وتعنى مدينة قسطنطين.للمزيد راجع. برنارد لويس: إستنبول وحضارة الخلافة الإسلامية, ترجمة.سيد رضوان على,ط2,الدار السعودية للنشر والتوزيع, الرياض1982م, ص11-13. ؛ وقد كان لمدينة القسطنطينية موقع فريد متميز حتى قيل " لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها" راجع. إبراهيم حسنين: سلاطين الدولة العثمانية " عوامل النهوض وأسباب السقوط"، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية2014م، ص 106.

4() تسابق المسلمون لفتح مدينة القسطنطينية وأرسلوا لذلك العديد من الحملات العسكرية فقد أرسل معاوية بن أبس سفيان (60-41هـ/ 661-679م) حملتين في عهدة الأولي في عام (49هـ/669م) والثانية في (54هـ/673م)، وكانت الحملة الثالثة في عهد سليمان بن عبد الملك (96هـ-99هـ/ 714-717م) في عام (98هـ)، وكانت الحملة الرابعة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد(193-170هـ/786-808م) وكانت في عام (190هـ/805م)، ثم جاء العهد العثماني فقد حاصرها السلطان العثماني بايزيد الأول (806-792 هـ/1389-1403م) أربع مرات متتالية كان أشهر محاولات الحصار التي كانت في عام (793هـ/1390م)، وتكرر أيضا الحصار في السلطان العثماني محمد الأول (825-816هـ/ 1413-1421م) وكانت هذه المحاولة في عام (816هـ/1413م)، ثم جأت محاولة جديدة في عهد السلطان العثماني مراد الثاني(848-825هـ/ 1421-1444م) وكانت في عام (825هـ/1421)، وجميعها كان مصيرها الفشل ماعدا الحملة الأخيرة التي تمت في عهد السلطان محمد الثاني في عام (857هـ/1453م).لمعرفة المزيد عن هذه المحاولات راجع. مهند نايف مصطفي الدعجة: حمص منذ الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق2009م، ص99-100. ؛ علي حسين الميلادي: سمات جيل النصر الموعود، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية 2017م، ص 70.؛ آتياج أوزكان: السلطان محمد الفاتح، ترجمة: أحمد كمال، دار النيل للنشر، القاهرة 2017م، ص14. ؛ حسن عبد الرازق منصور: المجتمع العربي بين التاريخ والواقع، ط2، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان 2013م، ص352 ؛ محمد الدمرداش العقالي: الإسلام السياسي من عام الجماعة إلى حكم الجماعة، سما للنشر والتوزيع، أبو ظبي 2017م، ص120.

5() مسلمة بن عبد الملك: مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس، وَيُلَقَّبُ: بِالجَرَادَةِ الصَّفْرَاءِ. وولي الموسم في أيام الوليد وغزا الروم غزوات وحاصر القسطنطينية وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم عزله وولي أرمينية مات بالشام سنة (120هـ/738م). ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1999م، ج58، ص 28؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج6، ص5؛ الزركلي: الأعلام ط15، ج7، دار العلم للملايين 2002 م، ص 224.

الحملة في عام(98هـ / 716م) بشكل عام، وقد قسم الحملة إلى برية وبحرية، ولكنه أرسل الحملة البرية في عام (98هـ /716م)، أما الحملة البحرية فقد أرسلها في عام (99ه /717م)، وقد كانت القيادة العامة للحملتين البرية والبحرية تحت قيادة أخاه مسلمة بن عبدالملك، ولا يمكننا أن نحمل الخليفة سليمان ذلك الخطأ، ولكنه قد تناسى أهمية ذهاب شطري الجيش معاً في وقت واحد، فقد كان عليه أن يرسل القوتين البرية والبحرية في وقت واحد؛ لكي يتمكن من إتمام الحصار على القسطنطينية، فما هي فائدة الحصار البرى بدون الحصار البحري، وخصوصاً نحن نعلم أن القسطنطينية تمتلك موقع جغرافي بحرى متميز[1]، فهو بذلك التصرف وهو إرسال القوات البرية أولا، ، قد أعطى لحاكم القسطنطينية الفرصة أن يأخذ حذره من المسلمين ويخزن المؤن اللازمة لهذا الحصار، ولكنه لو فاجأهم بالقوتين البرية والبحرية معًا؛ لقطع عليهم الإمدادات ونجحت هذه المحاولة لفتح القسطنطينية[2].

الخطأ الثاني: خطأ التفرد بالرأي

أخطأ قائد الجيش الإسلامي مسلمة بن عبدالملك عندما لم يستفد من تجربة موسى بن نصير فاتح الأندلس، والذي كان واضعًا خطة للاستيلاء على القسطنطينية عن طريق الغرب، فرغب في أن يقوم المسلمون بفتح جميع المدن والحصون الأوربية من ناحية الغرب حتى يصلوا إلى القسطنطينية، فهو بذلك كان يرى أنه يحرم القسطنطينية من إمدادات تلك المدن لها أثناء حصار المسلمين لها، ولكن مسلمة بن عبدالملك توجه بالسير مباشرة إلى القسطنطينية، ولكنهم لو كانوا اتبعوا رأى موسى بن نصير لنجحت تلك الحملة، لأنهم بذلك يجففون منابع الإمدادات للقسطنطينية، وكذلك أخطأ مرة أخرى وذلك عندما أتاه كتاب ليون بن قسطنطين، وهو عامل لصاحب قسطنطينية على

1() تعتبر مدينة القسطنطينية علي شكل مثلث يقع شكلة المنفرج علي خليج البسفور، يحدها من الشرق شواطئ البسفور، ويحدها من الشمال ميناء القرن الذهبي وسمي بذلك الاسم لأن الانحناء الذي يرسمه يشبه قرن الغزال وأما لفظ الذهبي يعبر عن مدي الثروات التي تدفقت للمدينة من خلاله، ويحدها من الجنوب مياه بحر مرمرة، ويحدها من الغرب قارة أوروبا. راجع. مفيد الزيدي: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2003م، ص 24.وتقع مدينة القسطنطينية حاليا في تركيا وتعرف باسم استانبول وتبلغ مساحة تركيا ما يقارب (780,567كم مربع) منها (24,000كم مربع) في أوروبا و(756,567كم مربع) في آسيا، ويبلغ طول حدودها (2753كم مربع) منها (877كم مربع) مع سوريا و(610كم مربع) مع روسيا الاتحادية، و(269كم مربع) مع بلغاريا، و(330كم مربع) مع العراق، و (454كم مربع) مع إيران، ويبلغ طول سواحلها (8333كم مربع) علي البحر الأسود و(1577كم مربع) علي البحر الأبيض المتوسط، و(2705كم مربع) عل بحر إيجة، و (172كم مربع)علي الدردنيل، و(90كم مربع) علي البسفور، و(972كم مربع) علي بحر مرمره.راجع. أحمد مشعان نجم: مكانة تركيا الدولية " دراسة في التوازنات الاقليمية والدولية، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان 2016م، ص235.

2() إبراهيم أحمد العدوى: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم, دار رياض الصالحين للطباعة والنشر والتوزيع,الفيوم1994م,ص66,67.

الضواحي إلى مسلمة يعلمه ولاية من يلي، وأنه إن أعطاه ما يسأله قدم عليه فناصحه وقواه على فتحها؛ فقرأ مسلمة كتاب ليون على الأمراء وأهل مشورته، فاجتمع رأيهم جميعاً على إجابته إلى ما سأل، وسكت مسلمة بن حبيب بن مسلمة[1] - وهو أمير الجند - فقال مسلمة بن عبد الملك: أيها الشيخ، مالك لا تتكلم؟ فقال: إن رسول اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الروم فقال: " أصحاب صحر ونحر ومكر " وهذه إحدى مكرهم، فلا تعطه إلا السيف. فتضاحك به أمراء الأجناد، وقالوا: كبر الشيخ، ولم يأخذ بنصيحة مسلمة بن حبيب بن مسلمة[2].

الخطأ الثالث: عدم تقدير قوة الأسوار

أخطأ مسلمة بن عبد الملك قائد الجيش الأموي، عندما لم يقدر قوة أسوار مدينة القسطنطينية في حصاره لها، ولو قدر ذلك لجاء بآلات لضرب تلك الأسوار، لأن حكام مدينة القسطنطينية قد حرصوا على تحصين تلك الأسوار تحصيناً منيعاً، بحيث لا يستطيع أحد أن يخترقها، فقد كان على مسلمة أن يحسب حساب تلك الأسوار؛ لكي يتمكن من دكها ودخول المدينة، ولكن بقيت تلك الأسوار شامخة طول الحملات التي جاءت عليها ولم يستطع دكّ تلك الأسوار إلا السلطان محمد الفاتح عام 1453م[3].

الخطأ الرابع: عدم تقدير قوة وحنكة حاكم القسطنطينية

انخدع مسلمة بن عبدالملك بما قام به حاكم القسطنطينية من خطة تكتيكية حيث تفاوض معه على أن يبتعد عن القسطنطينية، ويترك المؤن حتى يضمن له تسليم المدينة حيث يذكر ابن الأثير قائلاً " سَارَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى دَابِقٍ، وَجَهَّزَ جَيْشًا مَعَ أَخِيهِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِيَسِيرَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَمَاتَ مَلِكُ الرُّومِ، فَأَتَاهُ أَلْيُونُ مِنْ

1() هو مسلمة بن حبيب بن مسلمة الفهري كان قائد للجنود من دمشق في جيش مسلمة بن عبد الملك في حصاره للقسطنطينية.راجع.ابن عساكر: المرجع السابق، ص 21. ؛ الإفريقي: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ت: روحية النحاس وآخرون، ج24، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1984م، ص 260. ؛ البكري: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، ج3، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة 2001م، ص 379.

2() ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

1995 م، ج58، ص21؛ على محمد الصلابى: الدولة الأموية"عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار" ,ج2, ط2,دارالمعرفة , بيروت2008م , ص8.

3()هو السلطان محمد الثانى وترتيبه السابع بين سلاطين الدولة العثمانية, وقد حكم ما يقرب من ثلاثون عاما, وقد تولى الحكم بعد وفاة والده وكان عمره آنذاك إثنين وعشرون عاما, ولقب بالفاتح بعد فتحه للقسطنطينية عام1453م.للمزيد راجع.على محمد الصلابى: الدولة العثمانية"عوامل النهوض وأسباب السقوط",دار التوزيع والنشر الإسلامية,القاهرة2001,ص87,88.

أَذْرَبِيجَانَ فَأَخْبَرَهُ، فَضَمِنَ لَهُ فَتْحَ الرُّومِ، فَوَجَّهَ مَسْلَمَةَ مَعَهُ، فَسَارَا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا أَمَرَ كُلَّ فَارِسٍ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ مُدَّيْنِ مِنْ طَعَامٍ عَلَى عَجُزِ فَرَسِهِ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا أَتَاهَا أَمَرَ بِالطَّعَامِ فَأُلْقِيَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَأَغِيرُوا فِي أَرْضِهِمْ وَازْرَعُوا. وَعَمِلَ بُيُوتًا مِنْ خَشَبٍ، فَشَتَّى فِيهَا وَصَافَ، وَزَرَعَ النَّاسُ، وَبَقِيَ الطَّعَامُ فِي الصَّحْرَاءِ وَالنَّاسُ يَأْكُلُونَ مَا أَصَابُوا مِنَ الْغَارَاتِ وَمِنَ الزَّرْعِ، وَأَقَامَ مَسْلَمَةُ قَاهِرًا لِلرُّومِ، فَأَرْسَلَ الرُّومُ إِلَى مَسْلَمَةَ يُعْطُونَهُ عَنْ كُلِّ رَأْسٍ دِينَارًا، فَلَمْ يَقْبَلْ. فَقَالَتِ الرُّومُ لَأَلْيُونَ: إِنْ صَرَفْتَ عَنَّا الْمُسْلِمِينَ مَلَّكْنَاكَ. فَاسْتَوْثَقَ مِنْهُمْ، فَأَتَى مَسْلَمَةَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الرُّومَ قَدْ عَلِمُوا أَنَّكَ لَا تَصْدُقُهُمُ الْقِتَالَ، وَأَنَّكَ تُطَاوِلُهُمْ مَا دَامَ الطَّعَامُ عِنْدَكَ، فَلَوْ أَحْرَقْتَهُ أَعْطَوُا الطَّاعَةَ بِأَيْدِيهِمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُحْرِقَ، فَقَوِيَ الرُّومُ وَضَاقَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ" وفى نفس الوقت أشار ذلك الحاكم الذي على سكان القسطنطينية أن يخرجوا ويأخذوا المؤن التي تركها العرب[1]، وبذلك قد أخطأ القائد مسلمة بن عبدالملك عندما صدق وتساهل مع حاكم القسطنطينية، وظن أنه سوف يسلم له المدينة بكل سهولة وهو خطأ وقع فيه مسلمة بن عبدالملك، كبد فيه الجيش الأموي العديد من الخسائر التي أدت إلى انسحابهم وفك الحصار عن القسطنطينية

الخطأ الخامس: عدم الحرص على نفسية الجنود

كان الخطأ الذي وقع فيه مسلمة بن عبدالملك هو عدم حرصه على نفسية الجنود في جيشه، حيث كانت نفسيتهم مدمرة تماماً من طول الحصار الذي امتد إلى اثني عشر شهراً، وليس هناك بوادر تبشر بالفتح إضافة إلى ذلك ان أعداد المسلمين كانت في تناقص شديد، بالإضافة إلى أن قائدهم لم يحرص على تحفيزهم، إضافة إلى أن الرَّجُلُ لَيَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْعَسْكَرِ وَحْدَهُ، وَأَكَلُوا الدَّوَابَّ وَالْجُلُودَ وَأُصُولَ الشَّجَرِ وَالْوَرَقِ، وَكُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ التُّرَابِ[2]، بل قام بتشتيت قواته من حيث القتال في العديد من الجبهات، حيث يرى العديد من الخبراء العسكريين الحاليين أن قوة تحفيز القائد هي من أهم العوامل البشرية في الانتصار[3].

1() ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج4، ص 86؛ يوسف العش: الدولة الأموية" والأحداث التى سبقتها ومهدة لها إبتداءً من فتنة عثمان",ط2,دار الفكر,دمشق1985م,ص257.

2() ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج4، ص87.

3()محمد جمال الدين محفوظ: العسكرية فى الإسلام, دار المعارف,القاهرة1994م,ص29.

الخطأ السادس: عدم وجود المؤن الكافية

عندما بدأ حصار القسطنطينية جمع القائد مسلمة المؤن، ولكن عندما دخل عام 99ه ماتت معظم الخيول من المسلمين وقلت المؤن منهم، وعمت المجاعة والقحط ونفذت جميع المؤن والدواب، وأكلوا حتى أوراق الأشجار؛[1]من شدة الحصار الذي فرضتها عليهم الظروف المحيطة بهم، فقد كان عليه كقائد عسكري أن يقوم بالاقتصاد في تلك المؤن حتى لا يقع في ذلك الموقف، أو أن يقوم بسرعة الإرسال في طلب الإمداد حتى لا يضع الجيش في ذلك المأزق الذي كان نتيجته انسحابهم من أمام أسوار القسطنطينية، وضياع حلم لطالما راود المسلمين ألا وهو فتح تلك المدينة.[2]

ثانيا: نابليون وحصار عكا

كانت الدولة العثمانية[3] تعيش في ضعف شديد، وبالرغم من ذلك كانت تبذل جهداً كبيراً على المستويين العسكري والدبلوماسي؛ لإخراج الفرنسيين مصر [4] وقواته من مصر

1() الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ، ط2، دار التراث - بيروت1387 هـ ، ج6، ص 531؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج4، ص87.؛ محمد عبدالله عنان: مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام,ط5,دار حسين عنان,القاهرة1997م,ص42,43.

(2) لم تكن لتتم محاولة محمد الثاني "الفاتح" لفتح القسطنطينية إلا أنة قد قرأ التاريخ واستفاد منه فمن خلال قراءة التاريخ أستطاع أن يعرف الأخطاء التي وقع فيها من سبقوه وحاول عدم تكرارها، فبدأ بذلك من حيث أنتهي الآخرون فقد بدأ ببناء القلاع لكي يأمن ظهره من العدو، وأدرك من خلال قراءة التاريخ أن فتح القسطنطينية لن يتم إلا إذا أمتلك أسطول قوي وبذلك بدأ يعمل علي بناء الأسطول، وأدرك أيضا أنه لابد من دك أسوار المدينة لكي تنجح المهمة وعرف بأن من سبقوه كانت أدواتهم لدك تلك الأسوار ضعيفة ولا تقوم بالعمل المطلوب أمام تلك الأسوار لذلك قرر عمل "المدفع السلطاني " لدك أسوار تلك المدينة العصية ، وأستخدم كذلك الحيلة هو في هذه المرة.للمزيد من المعلومات حول تجهيزات محمد الثاني لفتح القسطنطينية والفتح راجع. عبد اللطيف عبد الله بن دهيش: قيام الدولة العثمانية، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة 1988م، ص 47-55. ؛ مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2003م، ص 19-23. ؛ سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة الازدهار " وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة"، مكتبة الآداب، القاهرة 2007م، ص 183- 215. ؛ أورخان محمد علي: روائع من التاريخ العثماني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة 2008م، ص 41- 51. ؛ برنارد لويس: اكتشاف المسلمين لأوربا، ت: ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1998م، ص 36-38.

3() أصبحت مصر ولاية تابعة للعثمانيين سنة (1517م) ووضع لها سليم الأول (1512م -1520م) نظام لحكمها قائم علي (الباشا – الديوان – المماليك) ولكي يضمن الاحتفاظ بمصر أطول فترة ممكنة كولاية عثمانية فكانت هذه القوي تتناحر فيما بينها وكل قوي تسعي لتحقيق أغراضها فأما أن تكون هي القوة الوحيدة وتضعف منافسيها وأما أن تعمل علي ابتزاز الشعب المصري اقتصاديا.راجع. جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع، القاهرة 2020م، ص 13-14.وذلك أدي إلى أن دخلت مصر في طور شديد من الضعف وعندما جاءت الحملة الفرنسية علي مصر كان يتربع علي العرش العثماني السلطان (سليم الثالث) الذي حكم في الفترة (1789م -1807م). راجع. شاكر النابلسي: سجون بلا قضبان "يحدث في العالم العربي الآن "، المؤسسة العربية للدارسات، بيروت 2007م، ص 70.

4() وصل نابليون بونابرت إلى الأراضي المصرية في 1798/7/1م.راجع.محمد حمدي: قاموس التواريخ "يوميات الأحداث الجداول الزمنية وقوائم مرجعية تاريخية"، ج2، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2014م، ص221. ؛ وبمجرد وصول الحملة الفرنسية أرض مصر لم تهنئ يوما واحدا حيث اشتعلت ضدها نار المقاومة من قبل المصريين طيلة (ثلاث سنوات).راجع.محمد السني: الثورة وبريق الحرية، دار الأدهم للنشر والتوزيع، القاهرة 2016م، ص 216. وبمجرد أن دخل نابليون مصر لم يستقر بها حوالي (3 شهور) حتى قامت ضده ثورة القاهرة الأولي في(أكتوبر 1798م،) فثار غضب نابليون وأمر مدفعيته أن تضرب الأزهر وأحياء القاهرة بالنار، ودخل الأزهر بالخيول وقتل العديد من مشايخ الأزهر ونهب الكتب ومزق المخطوطات ونهب بعضها اليهود الذين كانوا في خدمة جيش نابليون، ولم يكتفي نابليون وجيشه بكل ذلك بل وصل به الأمر إلى أنه حول الجامع الأزهر إلى إسطبل لخيولهم، ولم يخرج الخيل من الأزهر إلا بعدما تشفع الشيخ الجوهري عند نابليون وطلب منه إخراج الخيول من الجامع الأزهر فقبل نابليون تلك الشفاعة وأخرج الخيول، ثم أمر بالقاء القبض علي عدد من المشايخ وقطع رءوسهم في سجون القلعة وأعدم شيخ طائفة العميان. راجع. السنوسي محمد السنوسي: إضاءات في الوعي" مداخل أساسية وقضايا شائكة"، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة 2014م، ص 124.

لأنها تعلم أن مصر هي مفتاح تحكمها في المشرق الإسلام كافة، وأن سيطرة فرنسا عليها سوف تأتى عليها بالضرر؛ لذلك تشجعت الدولة العثمانية وأرسلت حملتين إلى مصر لإخراج الفرنسيين أحدهما بحرية والأخرى برية ومن هنا بدأت القصة، فقد فكر نابليون في سرعة الذهاب إلى بلاد الشام للتخلص من القوة التركية التي أرسلتها الدولة العثمانية قبل مجيئها إلى مصر، وفى نفس الوقت أن يضمن تمام سيطرته على بلاد الشام، ويضم بيت المقدس الذي كان حلما صليبياً منذ الحملة الصليبية الأولى[1]، وبذلك يكسب تأييد الدول الأوربية له ويكوّن إمبراطورية له في الشرق[2]، وقد سار في تحقيق ذلك الحلم أولى خطواته عندما جهز جيشه وانطلق من مصر صوب بلاد الشام، ولكنه أصيب بخيبة أمل عندما تحطمت أحلامه أمام أسوار مدينة عكا [3]، وقد تعددت أسباب تلك الخسارة المفجعة لنابليون حيث أنه قد وقع في العديد من الأخطاء.

الخطأ الأول: خطأ التوقيت

لقد أخطأ نابليون بونابرت عندما قرر أن يتوجه بجنوده إلى بلاد الشام لحصار مدينة عكا في مارس 1799م، ولم يدرس نابليون بونابرت جيداً، وذلك لأنه لم يختر الوقت المناسب لأن الدولة العثمانية قامت بالعديد من الإجراءات لإخراجه من مصر[4] ، فقد أعطى لها نابليون تلك الفرصة، وعلى الجانب الآخر كانت بريطانيا تريد أن تخرج نابليون من مصر خوفاً على مستقبل مستعمراتها في الشرق[5]، أضف إلى ذلك أن

1() هي أولي الحملات الصليبية التي جاءت علي المشرق الأسلامي من قبل الغرب الأوربي بدعوة إنقاذ قبر المسيح من المسلمين وإسترداد بيت المقدس وأستمرت تلك الحملة في الفترة(1096م – 1099م).راجع. سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الحملات الصليبية علي المشرق الإسلامي في العصور الوسطي، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض 2014م، ص 46.

2() محمود شاكر: التاريخ الإسلامى"العهد العثمانى"ج8,المكتب الإسلامى,بيروت2000م, ص471.

(2) TUCKER Cpencer c. , middle east conflicts from ancient Egypt to the 21st century"an encyclopedia and document collection" , abc-clio , usa2019 , p29.

4() وقفت بعض الدول الأوربية مع الدولة العثمانية لإخراج نابليون من مصر فقد تكاتفت (بريطانيا – روسيا – النمسا – بروسيا" ألمانيا " فيا بعد مع السلطان العثماني ولكن ذلك لم يكن حبا في السلطان العثماني بل نكاية في فرنسا.راجع. إميل شاهين: التكوين التاريخي لنظام لبنان السياسي الطائفي، دار الفارابي، بيروت 2015م، ص 59. ؛ ولكن نابليون بونابرت ظل يثير المتاعب ضد الدولة العثمانية لأنه كان يعرف أن الدولة العثمانية لا تستطيع ردعة ولا قبل لها به.راجع. مدحت عبد الرازق: نأسف للإزعاج" وقائع تاريخية وأحوال سياسية "، دار السراج للنشر والتوزيع، القاهرة 2018م، ص 69. ولكن السلطان العثماني (سليم الثالث) لم يستسلم لذلك الأمر وأعلن الجهاد ضد الفرنسيين واستجاب لدعوته المسلمون في (الحجاز – الشام – شمال أفريقيا) ؛ فقد خرجت من الشام جموع المسلمون تحت قيادة (محمد الكيلاني) وخرج المسلمون من ليبيا تحت قيادة (المهدي الدرناوي)، و شاركوا في المعارك التي خاضها الجيش العثماني ضد نابليون في مصر.راجع. الصلابي: الدولة العثمانية " عوامل النهوض وأسباب السقوط"، ج2، مؤسسة اقرأ، القاهرة 2010، ص 80-83.

5() لم تكن بريطانيا ترغب في بقاء نابليون في مصر، فقامت بتدمر أسطوله لكي ينقطع عنه المدد، و في 24يوليو 1798م التقي قائد الأسطول الانجليزي " الأميرال نلسن" بالأسطول الفرنسي في خليج أبي قير وأشتبك معه في" معركة أبي قير البحرية " فتم تدمير الأسطول الفرنسي.راجع. هنري دودويل: الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي " مؤسس مصر الحديثة"، ترجمة: محمد علي قطب، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة 2018م، ص17. وقد وقعت هذه المعركة تحيدا في (1/8/ 1798م).راجع. محمد حمدي: قاموس التواريخ" يوميات الأحداث الجداول الزمنية وقوائم مرجعية تاريخية "، ج2، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2014م، ص 574. وبعد هزيمة أبي قير البحرية أتجه الفرنسيين إلى تعويض النقص البحري في الجيش عن طريق تحصين المدن الساحلية فقاموا بالأهتمام بقلعة رشيد وتحصينها خوفا من دخول الأسطول الإنجليزي إلى شواطئ رشيد

الأوضــاع في مصــر لم تكن مســتقرة نهائيًا، [1]من حيث اســتمرار مقاومة المصــريين للفرنسيين، وليس ذلك فحسب بل كانت الأحداث تنذر بقيام ثورة ضد الفرنسيين، ومع ذلك لم يتراجع نابليون عن فكرة احتلال الشام؛ لكي يكون إمبراطورتيه في الشرق التي لطالما حلم بها، وقد أعلن لقواده أنه ســوف يذهب إلى الشــام لكي يواجه الحملة البرية التي أرسلتها الدولة العثمانية قبل وصولها إلى الحدود المصرية [2].

الخطأ الثاني: خطأ التفرد بالرأي

لم يستمع نابليون إلى رأى قواده[3] الذين أشاروا عليه بضرورة أن يصطحب معه قوة بحرية[4]؛ لكي يستطيع محاصرة مدينة عكا من الناحيتين البرية والبحرية، لأن مدينة عكا[5]تطل على البحر ولأن الأسطول الفرنسي قد تم تدميره على يد الأسطول الإنجليزي في إحدى المعارك البحرية في مصر، فقد تفرد نابليون وأصر على رأيه بأن يذهب إلى مدينة عكا عن طرق الصحراء المصرية وذلك قد كلفه العناء الشديد للوصول إلى أولى بلاد مدن الشام وهي "مدينة يافا"[6]، وانفرد أيضاً برأيه في مصير سكان مدينة يافا حيث قام بقتلهم جميعاً، وقد خالف بذلك رأى قواده الذين كانوا يروا أن يتركوهم ويكملوا طريقهم إلى عكا، وكان يبلغ عددهم حوالي 3ألاف شخص وكانت حجة نابليون في قتلهم أنه لا يوجد معه طعام كافٍ لهم.

والإستيلاء عليها. راجع. محمود أحمد درويش: موسوعة رشيد " التاريخ والاستحكامات الحربية "، ج1، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة 2017م، ص 27.

(1) لقي نابليون وجيشه مقاومة عنيفة منذ بداية دخولهم مصر وساعدت تلك المقاومة علي أنهاك قوة الجيش الفرنسي حيث كان أول صام عسكري تعرض الفرنسيين في مصر كان من قبل المماليك في مصر في معركتي (شبراخيت – 13 يوليو 1798م) و(إمبابة أو الأهرام -21يوليو 1798م) وبالرغم من أنتصار الفرنسيين إلا أنهم لم ينجحوا في القضاء التام علي المماليك وكان لبقاء المماليك في فترة وجود الفرنسيين أكبر العوامل في تشتيت الجيش الفرنسي وأنهاك قواه حيث شغلهم المماليك بالثورات فلا يكاد يخمد الفرنسيين ثورة حتى تقوم ثورة أخري.راجع.أحمد زايد: مختصر الكلام في المعارك الفاصلة للأمة الباسلة، دار يسطرون للنشر والتوزيع، الجيزة، 2018م، ص 60-61.

2()محمود شاكر: المرجع نفسه,ص471.

3() تمثل فشل نابليون في التفرد بالرأي عندما زين سهولة الأمر لجميع جنوده وقادته وقال لهم عن مدينة عكا: " إن بها رجلا مسنا ضعيفا ولا تحتاج محاصرتها واحتلالها سوي ساعات وتغنمون ما كنتم تحلمون به من خيرات الشرق ".راجع. جوني منصور: حيفا "الكلمة التي صارت مدينة"، ط2، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان 2016م، ص 44.

(4) READING Mario , Nostradamus and the third antichrista napoleon. Hitler. And the one still to come , Duncan baird publishers , usa2013 , p56.

5()عكا هى مدينة تقع فى شمال غرب فلسطين, وهي من المدن المهمة فى التاريخ الإسلامى وقد تعرضت لعمليات عديدة من الغزو حتى إحتلتها إنجلترا عام 1922م.للمزيد راجع. حسام الدين إبراهيم عثمان: موسوعة مدن العالم ,دار العلوم للنشر والتوزيع,القاهرة2012م,ص135.

6()روبير سوليه: مصر ولع فرنسى ,ت.لطيف فرج ,دار المستقبل العربى,القاهرة1999م,ص45.

الخطأ الثالث: عدم تقدير قوة الأسوار

أخطأ نابليون عندما لم يقدر قوة أسوار مدينة عكا [1]التي وقفت سداً منيعاً أمامه فما إن وصل إلى تلك الأسوار، حتى بدأ يشن الهجوم عليها، وقد كان يعتقد أن تلك الأسوار لم تصمد طويلاً أمام مدافعه الحديثة ولكنه كان مخطئًا [2]، فقد عرف قوة ومتانة هذه الأسوار بعد أربعة عشر هجوماً [3] على تلك الأسوار وجميعها باءت بالفشل، وبعدما بقي في ذلك الحصار مدة شهرين، قرر رفع ذلك الحصار والعودة إلى مصر وكان ذلك بفضل اللّه سبحانه وتعالى أولا ثم الأسوار والمرض الذي أُصيب به جنوده أمام الأسوار وهو مرض الطاعون [4].

الخطأ الرابع: الاستهانة بحاكم عكا

أخطأ نابليون عندما لم يقدر حنكة وقوة حاكم عكا "أحمد باشا الجزار" [5] فقد ظن أن هذا الحاكم رجل ضعيف، وأمام الضغط الفرنسي أمام مدينته سيقوم بتسليم المدينة بسهولة ولكنه تفاجأ بحنكته السياسية، وقوة إدارته للإمكانيات التي تحت يديه داخل عكا، فقد اتفق أحمد باشا الجزار مع الأسطول الإنجليزي أن يقوم بإمداده بالمؤن والأسلحة من ناحية البحر؛ لكي يقوم بالدفاع عن المدينة أمام الفرنسيين[6]، وقد نجح في تلك الخطة

(1) قبل أن يتحرك نابليون بونابرت من مصـــر فكر في خدعة يقوم بعملها لكي ينجح في مخططة الذي يهدف إلى الاســتيلاء علي بيت المقدس وكانت هذه الخدعة قائمة علي أن يرسل أحد ضباطه إلى أحمد باشا الجزار برسالة باطنها فيه الرحمة وظاهرها فيه العذاب، فقد نصت الرسالة علي أن نابليون يسعي لكسب صداقة الجزار وأن نابليون هدفه الوحيد هو معاقبة المماليك ولكن في حقيقة الأمر كان عرض الرسالة الحقيقي قائم علي أن يكف الجزار عن تحصـين مدينة عكا ويكف كذلك عن التسـليح وأختار نابليون أن يكون رسـولة إلى الجزار بتلك الرسـالة ضـابط يدعي " كالميه بوفوازان " وكان ضـابط من هيئة الأركان ولكن الجزار أخلف ظن نابليون حيث أنه لم يكن بالسذاجة التي توقعها نابليون فرفض الرد.راجع. أحمد حسين عبد الجبوري، القدس في العهد العثماني " 1640- 1799م دراسة سياسية –عسكرية – إدارية – اقتصادية – اجتماعية – ثقافية "، ج2، مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان 2010م، ص 107.

(2) RYAN Edward and CLAIRVAL Henri de , napoleon`s shield and guardian"the unconquerable general daumesnil" , pen and sword , england2003 , p79.

3() روبير سوليه: المرجع نفسه, ص46.

4() الطاعون هو مرض معدى يصـيب الفئران وتقوم بدورها بنقلها إلى الإنسـان وهو يؤدى إلى التهاب الجهاز اللمفاوى, مع نزيف فى الأنسـجة.للمزيد راجع.نخبة من الأطباء الإختصاصيين: الأمراض المعدية والمتوطنة ,ج2,ط1, مجموعة النيل العربية,القاهرة2001م, ص25-28.

5() أحمد باشـا الجزار (1804-1735م) واحد من رجال الدولة العثمانية في بلاد الشـام الذين اشـتهروا بالكفاءة والقدرة والجبروت أصـله بشـناقي، بدا حياته في اسـتانبول لقب بالجزار لشـدة بطشـه ببدو البحيرة في مصـر، وفي عام (1772م)، انتقل إلى الشـام علي رأس حملة لانتزاع بيروت، وتم تعينه واليا علي صـيدا عام (1775م)، تولي إدارة ولاية الشـام أربع مرات، المرة الأولي عام(1785-1783م)، والمرة الثانية عام (1795-1790م) والمرة الثالثة عام (1799-1798م)، والمرة الرابعة (1804-1803م).راجع. أحمد صـدقي علي شـقيرات: تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن "1864-1918م"، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، عمان 2016م، ص 316.

(2) READING Mario , the complete prophecies of Nostradamus , sterling publishing company , usa2009 , p523.

التي حطمت آمال نابليون في السيطرة على مدينة عكا، ولم يستطع نابليون أن يواجه الحقيقة المريرة وهي أنه هزم أمام مدينة صغير تدعى عكا يقودها رجل يدعى أحمد باشا الجزار بل طلب من الفرنسيين في القاهرة أن يقيموا احتفالات النصر فرحاً بأن نابليون قد انتصر في بلاد الشام، وأنه لم يبقَ حجراً على الآخر في أسوار عكا أمام مدافع نابليون وذلك لكي يخفى خيبته[1].

الخطأ الخامس: عدم مراعاة نفسية الجنود

أخطأ نابليون عندما لم يحرص على نفسية الجنود أثناء حصار مدينة عكا، فهم يرون بأعينهم أن مدافعهم التي يتفاخرون بها لا تؤثر في أسوار عكا، إضافة إلى ذلك أن الطاعون قد تفشى بينهم[2]، وأدى إلى قتل العديد منهم وقد قدر ضحايا مرض الطاعون حوالي 3 ألاف جندي [3]وهو تقريباً نفس العدد الذي قتله نابليون في مدينة يافا[4]، فكان على نابليون أن يعمل على تشجيع جنوده، وبث روح الاستمرار في الحصار بدلاً من الانسحاب[5].

الخطأ السادس: عدم وجود المؤن الكافية

أخطأ نابليون عندما سلك طريق الصحراء فقد استهلك جزء كبيرة من المؤن التي كانت معه لأن الطريق كان شاقاً وطويلاً، وقد استهلك المتبقي من المؤن أمام أسوار عكا، حيث أن الحصار قد استمر حوالي شهرين، [6]ولم تكن تأتيه الإمدادات عن طريق البحر لأن الأوضاع في مصر غير مستقرة، ولم يكن بمقدور الفرنسيين أن يمدوه بالمؤن اللازمة لإتمام ذلك الحصار، لأنه لم يكن لديه أسطول، فضلاً عن أن الأسطول الإنجليزي كان

1() محمود شاكر: المرجع السابق,ص471,472.

(4) THIBAUDEAU Antoina Claire , history generale de napoleon Bonaparte"de sa vie privee et publique , vol5 , ponthieu et comp , paris1828 , p187.

(1) BOURRIENNE M. de , memoirs of napoleon Bonaparte , pnnon knaccnk , england1903 , p85.

(2) HEROLD J. Christopher , the age of napoleon , Houghton Mifflin Harcourt , usa2002 , p71.

5()روبير سوليه: المرجع السابق,ص45,46.

6() أثناء حصار مدينة عكا صمد أحمد باشا الجزار أمام نابليون لأن الأنجليز كانوا يقدمون له المدد والعون، ففقد نابليون عدد كبير من جيشة أثناء ذلك الحصار وقتل له حوالي خمسة جنرالات من أفضل قيادة جيشه، فأصدر نابليون أثناء حصار عكا بيان يدعو فيه اليهود في العالم للاستيطان في فرنسا وكان غرضه من ذلك أن يحصل علي دعم اليهود في أوروبا وقد وعدهم مقابل ذلك أن يحصلوا علي فلسطين وبذلك يكون وعد نابليون لليهود بفلسطين أسبق من وعد بلفور.راجع. طارق السويدان: فلسطين التاريخ المصور، ط10، دار الإبداع الفكري، الكويت 2012م، ص 200. للمزيد من المعلومات حول اليهود بحملة نابليون علي مصر راجع.سيد حسين العفانى: تذكير النفس بحديث القدس " واقدساه"، ج1، مكتبة معاذ بن جبل، القاهرة 2001م، ص 495-498. ؛ هدايه محمود العسولي: تاريخ فلسطين وإسرائيل عبر العصور، دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة 2018م، ص 112.

يحاصر سواحل البحر المتوسط، بينما كان يتلقى حاكم عكا المؤن والذخيرة عن طريق البحر بواسطة الأسطول الإنجليزي[1].

المبحث الثالث: أخطاء القادة في سياسة الاستدانة.

أولا خطأ بطليموس الثاني عشر (51-80) ق.م، الزمار "Auleles"

تبدأ هذه القصة في عهد دولة البطالمة في مصر وتحديداً في فترة حكم الملك بطليموس الثاني عشر فلم يكن بطليموس الثاني عشر رجلاً سياسياً بما يكفى، ولم يكن يمتلك من الحنكة ما يؤهله أن يحكم بلداً قوية كمصر حيث ظهر الضعف في المملكة البطلمية في عهده واضحاً، حيث لجأ إلى قوة خارجية؛ لكي يكسب شرعية في الحكم، وذلك يدل على مدى الضعف والاستكانة التي وصلت إليه الدولة البطلمية، فقد استعان بيوليوس قيصر[2]، ودفع له نصف دخل مصر لكي يعترف به ملك على مصر[3]، وكان ذلك من أحد عوامل ضعف الاقتصاد المصري الذي دفعه إلى أن يلجأ إلى الاستدانة من الخارج ولم يجد له إلا روما؛ لكي يستدين منها، وكان نصيب ذلك القرض رجل روماني يدعى رابليوس كان يعمل بالربا، وقد أدى هذا القرض إلى ضعف الاقتصادي المصري، وتدخل روما في شئون مصر الداخلية إلى أن احتلتها، وذلك بسبب أخطاء بطليموس الثاني عشر.

الخطأ الأول: الاستدانة من روما.

وقع بطليموس الثاني عشر في فخ نصبه له الرومان، حيث أنهم قد أغروه بأنه حليف لهم وأنهم على استعداد أن يساعده في إيصاله للعرش وإكسابه شرعية في الحكم، وأنهم على استعداد أن يحركوا جيوشهم الجرارة من أجله، وذلك على سبيل الخدعة حتى يأمن لهم، وعندما وقع بطليموس في مشكلة تولية العرش لجأ إلى الرومان أولا[4]، وأعطى ليوليوس قيصر مبلغ 6 آلف تالنتوم، وذلك يعادل نصف دخل مصر لكي يعترف به ملك

1()عبدالرحمن الرفاعى: عصر محمد على,ط7,دار المعارف,القاهرة2018م,ص228.

2()يوليوس قيصر هو واحد من كبار رجال الدولة والقادة فى روما وهو أول من أطلق على نفسة لقب إمبراطور وقد أغتيل ى مجلس الشيوخ وقد كان من ضمن الذين شاركوا فى قتلة "بروتوس"الذى يُقال أنه قد يكون أبن يوليوس قيصر الغير شرعى.للمزيد راجع.إتيان دولابويسى: العبودية المختارة,ت.صالح الأشمر,دار الساقى,بيروت2016,ص31.

(2) RIGBY Greg , the jesus phenomenon"how did it originate? What is the hidden secret?" , strategic book publishing&rights agency , usa2016 , p84.

(3) HOLBL Gunther , a history of the Ptolemaic empire , translated tina saavedra , routledge , england2013 , p224.

على مصر[1]، وبذلك أصدر يوليوس قيصر قانون اعترف فيه ببطليموس الثاني عشر ملك على مصر، [2] وكان ذلك هو الخطأ الذي وقع فيه بطليموس حيث أنه ألقى بنفسه ومملكته في أحضان الرومان، وذلك ما كانوا يتمنونه، وذلك قد أدى به إلى أول استدانة "قرض" وقد كانت من نصيب روما.

الخطأ الثاني: السماح بالتدخل الأجنبي في أمور الخزانة.

أخطأ بطليموس الثاني عشر عندما عين رابيريوس"Raber" وزيراً للمالية لأنه لم يستطع أن يدفع له فوائد القرض الذي اقترضه منه في روما، وأعطى له سلطات واسعة في أن يتصرف في أمور الخزانة كما يشاء بدون أي حساب[3]، وذلك ما أدى إلى ثورة الشعب ضده فهرب رابيريوس، ويكمن الخطأ هنا في سياسة بطليموس عندما أطلع رجل أجنبي على إمكانيات البلاد ودخلها، فهو بذلك أعطى له خريطة تفصيلية عن مدى خيرات مصر وقوة اقتصادها، وبذلك جعل مصر بدون وعى مطمع للرومان.

الخطأ الثالث: إهمال الإنفاق العسكري.

أخطأ بطليموس الثاني عشر عندما خصص الجزء الأكبر من موارده المالية؛ لسد فوائد ذلك القرض، ولم يخصص جزءاً ولو يسير لكي ينفق على جيشه من حيث التدريب والتسليح والإعداد [4]، بل ترك أمر الجيش تماماً وكأنه لم يكن، مما سهل الأمر على الرومان من بعد باحتلال مصر وضمها إليهم ومعاملتها معاملة لا تليق بها، وكل ذلك يرجع في الأساس إلى إثقال كاهل الخزانة العامة للدولة بذلك القرض.

الخطأ الرابع: وهو تبديد المال العام

أخطأ بطليموس الثاني عشر خطأً فادحًا عندما سمح لذلك المرابي الروماني

1() مصطفى العبادى: المرجع السابق,ص97 -98.

2() فادية محمد أبو بكر: المرجع السابق,ص217.

(3) BURSTEIN Stanley m. , the reign of Cleopatra , greenwood publishing group , usa2004 , p14.

4() الإنفاق العسكرى هو أحد الأبواب الرئيسية فى ميزانية الدولة ويعتبر من ضمن الإنفاق الحكومى ويطلق عليه عدة مسميات منها المصروفات الأمنية أو ميزانية القوات المسلحة أو نفقات الدفاع.للمزيد راجع.محمد صادق إسماعيل: العلاقات المصرية الخليجية"معالم على الطريق",دار العربى للنشر والتوزيع,القاهرة2010م,ص25.

بالتصرف كيفما شاء في خزانة الدولة[1]، فقد وقع بذلك تحت بند تبديد المال العام[2]وهو بذلك ليس عليه رقابة في التصرف في الأموال، وذلك بدون مراعاة لأى احتياج من احتياجات الشعب الذي سرعان ما فاض به الكيل وقام بثورة عارمة هددت رابيريوس نفسه، فقام بالفرار من مصر سراً ولكن بعد أن عرف كل شيء عن خزانة مصر وعن مدى ثرائها ومدى ضعف البلاد في تلك الفترة، فكان رابيريوس هو الورقة الرابحة للرومان، الذي من خلاله تسنى لهم التدخل بشكل مباشر في أمور مصر الداخلية إلى أن تم لهم احتلالها وضمها إليهم، ويرجع كل ذلك في الأساس إلى قرض بطليموس الثاني عشر.

ثانيا: الاستدانة في عهد سعيد باشا (1854- 1863م)

كانت أحوال مصر مستقرة إلى أبعد الحدود في عهد محمد على، [3]ولكن بدأت أحداث هذه القصة بعدما توفى محمد على، وذهبت إدارة الدولة المصرية إلى أبنائه وأحفاده ولم تكن الدولة المصرية أثناء حكم محمد على دولة ضعيفة أو فقيرة بل كانت تناطح أقوى الدول في تلك الفترة، ولكن حدث مالم يتوقع عندما تولى عرش الدولة المصرية سعيد باشا[4]، فقد لجأ إلى سياسة الاقتراض من حكومة لندن، الأمر الذي رفضه قبل ذلك جده محمد على، وكأنه لم يقرأ التاريخ، ووقع بنفس الخطأ الذي وقع فيه بطليموس الثاني عشر من قبل، وقد فتح بذلك الاقتراض باب التدخل الأجنبي في شئون مصر الداخلية، حيث وقع أول قرض له من لندن سنة1862م بمبلغ تجاوز 3مليون جنيه، وعندما توفى كانت ديون مصر تبلغ حوالي 10مليون جنيه [5]، وقد أخطأ سعيد باشا في ذلك القرض حيث أنه فتح بذلك الطريق من بعده لخلفائه الاقتراض من الدول الأوربية

(1) STANWICK Paul edmund , portraits of the ptolemies"greek king as Egyptian pharaohs , university of texas press , usa2002 , p79.

2() تبديد المال العام وهو التصرف فى أموال الدولة أو اغتصابه ولكن بشكل يخرج صاحب هذا العمل من حيازته إلى حيازة الدولة.للمزيد راجع.سلامة بن سليم الرفاعى: الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد ودورها فى محاربة الفساد المالى"دراسة مقارنة",مكتبة القانون والإقتصاد,الرياض2015م,ص357.

3() محمد على باشا ولد عام 1769م فى مدينة قوله فى بلاد البلقان وهي مدينة بحرية صغيرة, وكان والده يدعى إبراهيم أغا, وقد نشأ محمد على نشأة علمية صرفه, وبعد زواجه عمل فى تجارة الدخان. للمزيد راجع: محمد شفيق غربال: محمد على الكبير,مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة,القاهرة2014م, ص12.

4() يرجع أصل كلمة باشا إلى الأصل الفارسي وكلمة باشا مأخوذة من الكلمة الفارسية " بادشاه" وتعني الملك، وقد منح لقب باشا في الدولة العثمانية إلى أصحاب المناصب العليا من المدنيين والعسكريين، ولكن بعد الغاء فرقة الإنكشارية من الجيش العثماني تم التعويض عن كلمة باشا بكلمة جنرال للقادة العسكريين.راجع. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2004م، ص 28.

5()عمر الإسكندرى وسليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر,مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة, القاهرة 2014,ص217-219.

الأمر الذي انتهى بالاحتلال الإنجليزي لمصر سنة 1882م، وقد وقع سعيد بذلك في عدة أخطأ يمكن حصرها فيما يلى:

الخطأ الأول: الاستدانة من بريطانيا.

وقع سعيد في خطأ جسيم عندما استدان من حكومة لندن ليس ذلك فحسب بل في المبلغ الذي قد استدانه؛ والذي يبلغ 3 مليون جنيه، وذلك مبلغ ليس بالقليل آنذاك لأنه أثقل كاهل الخزانة المصرية بسداد فوائد ذلك القرض، وفى الحقيقة لم يكن سعيد في حاجة لذلك القرض، حيث كانت المؤسسات المختلفة التي تركها محمد على ما زالت تعمل وتدخل ربح وإن كان يسيرًا، وقد قدرت بعض المصادر أن جملة ما أنفقه محمد علي على منشآته المصرية حوالي 7مليون دولار[1]، وقد أعطى سعيد بذلك القرض إلى بريطانيا الحق في التدخل في شئون مصر الداخلية بحجة خوفها على مصلحة الدائنين[2]، ولكنها في الحقيقة كانت تخشى على مصالحها فخططت منذ زمن بعيد في إيقاع مصر في تلك الخطة المحكمة والتي لم تستطع تنفيذها في عهد محمد على، فوجدت ضالتها في سعيد.

الخطأ الثاني: السماح بالتدخل الأجنبي في أمور الخزانة

وقع سعيد في خطأ جسيم فقد فتح بذلك القرض الباب للدول الأجنبية للتدخل في شئون مصر وإن كان هذا التدخل لم يظهر بشكر صريح إلا في عهد إسماعيل[3]، فقد اضطر إسماعيل إلى استقبال العديد من اللجان الأوروبية؛ لكي تشرف على كيفية سداد القروض التي قام سعيد وخلفائه باقتراضها وكان من بين هذه اللجان لجنة صندوق الدين سنة 1876م، والمراقبة الثنائية التي تحكمت بشكل مباشر وكلى في إرادات ومصروفات الخزانة المصرية[4]، وذلك كان بكورة التدخل الأجنبي في شئون مصر الداخلية.

1()عبدالوهاب بكر: المرجع فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر"بناء الدولة الحديثة1805-1840م" ,المجلس الأعلى للثقافة,القاهرة2009,ص150.

2()جلال أمين: قصة الإقتصاد المصرى من عهد محمد على إلى عهد مبارك,دار الشروق, القاهرة2012م, ص33.

3()ولد الخديو إسماعيل فى 31ديسمبر 1830م فى قصر المسافر خانة بمصر, وتعلم على يد نخبة من أمهر الأساتذة من مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية.للمزيد راجع.إلياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا,مؤسسة هندواى,القاهرة2013م,ص47.عرف عن الخديو إسماعيل البذخ والترف مما أدى به إلى الاستدانة وأنتهي به الأمر إلى التبذير في أموال الخزانة. راجع. أنور الجندي: عقبات في طريق النهضة" مراجعة لتاريخ مصر الإسلامية منذ الحملة الفرنسية إلى النكسة (1964-1898)، دار الأعتصام، القاهرة 1990، ص39.

4()محمد حسام الدين إسماعيل: مدينة القاهرة"من ولاية محمد على إلى إسماعيل1805-1879م",دار الآفاق العربية,القاهرة1997م,ص279-280.

الخطأ الثالث: إهمال الإنفاق العسكري

أخطأ سعيد عندما سحب ذلك القرض فقد أهمل بذلك الإنفاق العسكري على الجيش مما أدى إلى إضعاف الجيش بشكل واضح للعيان وانتشار الفساد[1] داخل الجيش، وقد حاول سعيد تصحيح ذلك الخطأ الجسيم الذي أحس به فقرر الاهتمام بالجيش بعض الشيء ولكن لم تعد المؤسسة العسكرية قادرة على استيعاب ما يحدث لها في عهد سعيد، فبعد أن كان الجيش المصري في عهد محمد على قوة ضاربة بسبب إصلاحات محمد على ومدى إنفاقه العسكري على ذلك الجيش حيث كان الجيش في أولى اهتمامات محمد على، ولكن اختلف الوضع في عهد سعيد حيث لم يعطى اهتماماً كبيراً لذلك الجيش الذي كان يقف حجر عسر أمام التدخل الأجنبي في شئون مصر، فما أن ضعف ذلك الجيش حتى تثنى للدول الأوروبية التكالب على مصر وعلى رأسهم بريطانيا، وقد سهلت بريطانيا لسعيد الاقتراض سواء عن طريق الأشخاص أو عن طريق البنوك[2]؛ لكي تنفذ مخططها الاستعماري في امتلاك مصر.

الخطأ الرابع: تبديد المال العام

أخطأ سعيد عندما اقترض من حكومة لندن، فقد وضع نفسه في مأزق لا يحسد عليه عندما وقع في ذلك القرض، فهو بذلك قد وضع نفسه تحت طائلة ما نسميه بتبديد المال العام لأن ذلك القرض يتطلب فوائد وتلك الفوائد يدفعها سعيد من الميزانية العامة للدولة، وبذلك قد حمل خزانة الدولة ما لا تطيق، فقد استبد[3] بذلك بخزانة الدولة وبأحلام الشعب، وواصل من بعده الخديوي إسماعيل (1863م- 1879م) سياسة الاستبداد بالمال العام[4].

1()الفساد هو السلوك الذى يمارسه المسئولون فى القطاع العام أو القطاع الحكومى سواء كانوا سياسيين أو موظفين مدنيين بهدف إثراء أنفسهم أو أقربائهم بصورة غير قانونية من خلال إستغلال السلطة الممنوحة لهم.للمزيد راجع.عبدالخالق فارق: إقتصاديات الفساد فى مصر"كيف جرى إفساد مصر والمصريين(1974- 2010م),مكتبة الشروق الدولة,القاهرة2011م,ص27.

2()البنك,هى تلك المنظمة التى تتبادل المنافع المالية مع مجموعة مع العملاء بما لا يتعارض مع مصلحة المجتمع,وبما يتماشى مع التغيير المستمر فى البيئة المصرفية.للمزيد راجع.محمد الصيرفى: إدارة المصارف,دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر,الإسكندرية 2006م,ص7.

3()الإستبداد وهو الإنفراد بإدارة شئون المجتمع من قبل فرد أو مجموعة عن طريق الإستحواز والإستيلاء والسيطرة بدون جه حق مع إستبعاد الأخرين وإهدار مبدأ المساواة. للمزيد راجع: ثناء فؤاد عبدالله وأخرون: الإستبداد فى نظم الحكم العربية المعاصرة,مركز درسات الوحدة العربية,بيروت2005م,ص13.

(4) من مظاهر الاستبداد بالمال العام حفل افتتاح قناة السويس (17نوفمبر1869م) فلم يعرف التاريخ احتفالا يماثله في الاسراف والتبذير وأكبر دليل علي ذلك هو إجمالي نفقات ذلك الحفل الذي بلغ (1,400,000) جنية وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت، وقد أقيمت الحفلات علي (ثلاث منصات)، خصصت المنصة الكبري للملوك والأمراء وكبار المدعوين، والمنصة الثانية كانت لرجال الدين الاسلامي، والمنصة الثالثة كانت لرجال الاكليروس،

المبحث الرابع: أخطاء القادة في تسليم المدن

أولا: خطأ الخليفة المستعصم في تسليم بغداد

بدأت أحداث هذه القصة في الخلافة العباسية(892-132هـ/ 750- 1258م) وتحديداً في فترة حكم الخليفة المستعصم باللّه (640- 656هـ/ 1242- 1258م) وهو الخليقة السابع والثلاثون في ترتيب خلفاء الدولة العباسية، تولى الحكم وهو في سن الواحد والثلاثون من عمره وظل في الحكم ستة عشر عامًا[1]، وقد وقع ذلك الخليفة في خطأ جسيم عندما سلّم مدينة بغداد وسمح للتتار باقتحام تلك المدينة وتدميرها، وذلك أدى إلى صدمة حضارية للحضارة الإسلامية في المشرق وقد أصيبت الحضارة الإسلامية بنوع من الجمود في شتى المجالات، فقد توقفت الحياة الثقافية والفكرية التي كانت تعج بها مدينة بغداد حيث خرب هولاكو قائد التتار عندما دخل بغداد المدن والمساجد وأحرق وأغرق كميات كبيرة من الكتب [2]، ويمكن حصر هذه الأخطاء فيما يلى:

الخطأ الأول: وقوع المستعصم في سياسة فرق تسد

أخطأ المستعصم عندما وقع في فخ قد نصبه له هولاكو[3] وهذا الفخ هو سياسة فرق تسد الذي اعتمد عليه ذلك القائد التتري الذكي حيث أصبح يعمل على تفكيك جبهة المسلمين مستغلا بذلك تناقضاتهم السياسية والمذهبية، ومن العجيب أن المسلمين

وجلس الخديو إسماعيل في المنصة الكبري وبجواره الامبراطورة اوجينى امبراطورة فرنسا، وامبراطور النمسا، وملك المجر، وولي عهد بروسيا، واخو ملك هولندا، وزوجته، والعديد من كبار المدعوين. راجع. إيناس محمد البهيجي: مصر في عهد الخديوي إسماعيل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان 2017م، ص 144. ؛ فادي أسعد فرحات: حدث في مثل هذا اليوم " من 1سبتمبر إلى 31ديسمبر"، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2018م، ص240. ؛ وبالرغم من الديون التي تركها سعيد باشا علي عاتق الخديو إسماعيل إلا أن الخديو إسماعيل كان لدية فرصة كبيرة لتحسين وضع الأقتصاد المصرى حيث زاد الطلب علي القطن المصري في عهده وذلك أثناء قيام الحرب الأهلية الأمريكية (1863م- 1865م) فقد زادت صادرات مصر من القطن حوالي (ثلاث أضعاف) وأدي ذلك إلى رواج الطلب علي القطن المصري بعد عام واحد من تولي الخديو إسماعيل حكم مصر ولكن لأسف لم يستغل إسماعيل ذلك الرواج والطلب علي القطن المصري في صرف تلك الأموال في تنمية الأقتصاد المصرى. راجع. كمال أمين الوصال: الاقتصاد المصرى بين المطرقة والسندان " أزمتا الدين العام والموازنة العامة "، دار ابن رشد، القاهرة 2016م، ص 25.

1() راغب السرجانى: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت,مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة, القاهرة 2006م,ص137.

2()حسين مؤنس: تاريخ موجز للفكر العربى ,دار الرشاد,القاهرة1996م,ص330.

(3) هولاكو: هو هولاكو ابن تولوي ابن جنكيز خان، من فرسان المغول الشجعان فتح بلاد فارس والعراق وأصبح حاكما عليها أشتهر بحبة للعلوم ولكنة لم يفهم منها شيئا فقد جمع في بلاطة أنجب العلماء، وأنشأ مرصد فلكيا لرصد الكواكب والنجوم وكان وثنيا كأجداده. راجع. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: سيد حسين العفاني، خيري سعيد، ج17، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ب.ت، ص 48-50. ؛ سارة مسعود السيد مسعود: عصر بركة خان سلطان المغول "655 -665ه / 1257 – 1266م"، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان 2020م، ص 14. ؛ علي محافظة: شخصيات من التاريخ " سير وتراجم موجزة "، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، بيروت 2009م، ص 135.

وحكامهم قد استكانوا لرغبات هولاكو فلم يكونوا يعلمون ما هي نيته، فقد كانت نيته هي تدمير وإبادة جميع مظاهر الحضارة الإسلامية، وقد وقع المستعصم وغيره من حكام المسلمين في تلك الخطة المحكمة التي قد أعدها هولاكو، فقد سارع العديد من الحكام والملوك للتقرب من هولاكو وتقديم الهدايا والأموال إليه[1] ظناً منه إنه صديق لهم.

الخطأ الثاني: عدم تقدير قوة وحصانة مدينة بغداد

أخطأ المستعصم عندما لم يقدر قوة مدينته بغداد، والتي كانت غاية في التحصين فقد كان يحيط بها سور عريض جداً يبلغ عرضه من الأسفل خمسين زراعاً ومن الأعلى عشرين زراع، وهي بذلك محصنه من الناحية الخارجية ولديها القوة لصد أي عدوان من الخارج وليس ذلك فحسب، بل كان بها أربعة أبواب وبين كل باب والآخر مسافة ميل وبجانب كل باب توجد أبنية كبيرة تعتبر رباط لإقامة الفرق العسكرية [2].

الخطأ الثالث: إسناد الأمر إلى غير أهله

أخطأ الخليفة المستعصم عندما جعل اهتمامه الأكبر ينصب على رجل واحد ولم يكن هذا الرجل بالوطنية الكافية لأنه كان رجل فاسداً خبيثاً، حيث كان شديد الكره لأهل السنة حيث أنه كان شيعي المذهب، وقد عمل هذا الرجل في منصب حساس جداً فقد كان يشغل منصب الوزير، وكان ذلك الرجل يدعى "مؤيد الدين العلقمي"[3] ولم ينتبه المستعصم لذلك الرجل أنه خائن والذي يدل على ذلك أنه بقى في منصبه أربعة عشر سنة كاملة، فقد اتصل ذلك الرجل بهولاكو واتفق معه سراً أن يسهل دخول الجيوش التتارية إلى بغداد في مقابل أن يكون له شأن ومكانة في مجلس الحكم الذي سيدير بغداد بعد سقوط الخلافة في أيدى التتار[4].

1() فتحى زغروت: النوازل الكبرى فى التاريخ الإسلامى,الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع, القاهرة2009م ,ص120.

2() أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى,مكتبة وهبة,القاهرة2012م,ص213.

3() ابن العلقمي: هو محمد بن أحمد بن علي بن أبو طالب مؤيد الدين الأسدي البغدادي وكان يعرف باسم " ابن العلقمي "، أشتغل في صغرة بحب الأدب، وصل إلى منصب الوزير عام (642هـ) وبقي في منصب الوزير 14عام، كان حازم في الحكم خبير بالسياسة، وكان محب للقراءة حيث احتوت مكتبتة علي (10 الآف مجلد)، وعاش في الفترة (593 – 656هـ / 1197 – 1258م). للمزيد من المعلومات عن ابن العلقمي راجع. اليافعي: مرآه الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، ص 105. ؛ الدمشقي: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1990م، ص 55. ؛ المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الوجود، علي محمد معوض، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م، ص 518. ؛ سليمان بن حمد بن عبد الله العودة: كيف دخل التتر بلاد المسلمين، ط3، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة 2001م، ص 55-59؛ الزركلى: الأعلام، ج5، ص 321.

4() راغب السرجانى: المرجع السابق,ص113.

الخطأ الرابع: عدم الصمود في الحصار

فقد أخطأ المستعصم عندما لم يستطع أن يصمد أمام الحصار الذي ضربه التتار أمام مدينة بغداد، حيث لم يستمر هذا الحصار إلا أسبوعًا واحد فقط ولم يستطع هو نفسه أن يصمد أكثر من ذلك[1]، وقد قام بتسليم المدينة، فقد كان عليه أن يستمر في دفع الحصار حيث أن مدينة بغداد لم تكن فقيرة من حيث الكثافة السكانية، فقد كان يقطنها في ذلك الوقت 3 مليون نسمة وهي تعد أكثر مدن العالم ازدحاماً آنذاك، فقد كان يستطيع المستعصم استخدام هذه الأعداد الغفيرة في صد العدوان على مدينتهم بإضافة إلى أنه كان تحت يديه حوالي 120 ألف مقاتل في حين أن عدد التتار المحاصر للمدينة لا يتجاوز 200 ألف مقاتل، فكيف له أن يستسلم وهو يمتلك كل هذه القوى بالإضافة إلى قوة تحصين المدينة [2].

الخطأ الخامس: عدم توعية الناس

كان التتار يمتلكون جهاز إعلامياً[3] جبارًا حيث اعتمد هولاكو على بث الرعب والخوف والهلع في نفوس الناس حتى تنخلع قوبهم[4]، أمام جيوش التتار فقد كانوا يسلمون المدن قبل أن يدخلوا في معارك حقيقية معهم، حيث كانوا يُشيعون بين الناس أنهم ليس من جنس البشر وإنما هم من أكلى لحوم البشر، وأن نساءهم تستطيع أن تصمد بشكل جبار في القتال وذلك آل الرعب في قلوب المسلمين، فقد خاف الرجال من نساء التتار وما يؤخذ على المستعصم عدم امتلاكه جهاز إعلامي مضاد يقوم من خلاله بتوعية الناس بحقيقة التتار وإبطال هذه الإشاعات، وتحميس الناس على التصدي لهؤلاء المغتصبين والدفاع على مدينتهم باستماتة، فقد وقع المستعصم في خدعة التتار وسمح لهم باستباحة مدينة بغداد، وقد استمر السلب والنهب والقتل داخل المدينة مدة 40 يوم وبلغ عدد القتلى 2 مليون نفس[5]، ولنا أن نتخيل ما هو شكل مدينة بغداد التي دمرها

1() خالد عزام: موسوعة التاريخ الإسلامى"العصر العباسى",دار أسامه للنشر والتوزيع, عمان2009م, ص296.

2() راغب السرجانى: المرجع السابق,ص137.

(3) الأعلام هو محاولة التأثير في عقول الجماهير ونفوسهم والسيطرة علي سلوكهم لأغراض مشكوك فيها، وذلك في مجتمع معين وزمان معين. راجع. محمود محمد سفر: الإعلام موقف، دار تهامة للنشر والتوزيع، جدة 1982م، ص 24.

4() فتحى زغروت: النوازل الكبرى,ص120.

5() أحمد معمور العسيرى: موجز التاريخ الإسلامى"منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر1417 هـ", مكتبة الملك فهد الوطنية,الرياض1996م ,ص217.

التتار، والتي نحمل أعباء تدميرها كاملة إلى الخليفة المستعصم، فقد كان يوجد بها 15 ألف مسجد و5 ألآلف حمام[1]، وبسقوط هذه المدينة في أيدى التتار زالت دولة الخلافة التي استمرت ما يزيد عن خمسة قرون حاضرة للدولة العباسية، ومركزاً للعالم الإسلامي ومهبطاً للعلماء.

ثانياً: خطأ أبو عبد اللّه الصغير في تسليم غرناطة

تبدأ أحداث هذه القصة في عام 1492م، في بلاد الأندلس[2]، وتحديداً في آخر معقل من معاقل المسلمين هناك وهي مملكة غرناطة[3]، التي كان سقوطها يعتبر سقوط للحضارة الإسلامية التي ظلت الأندلس منارة لها قرابة ثمانية قرون[4]، حيث كان أبو عبد اللّه الصغير(1483-1482م – حكم فترة أخري / 1486-1492م) [5] آخر ملك من ملوك الإسلام في الأندلس وينتمى إلى دولة بنى الأحمر [6] التي كانت تملك مملكة غرناطة، وتسيطر عليها سيطرة تامة ولكنه كان ذا شخصية ضعيفة فلم يستطع أن يكمل ما بدأه أجداده في تلك المملكة، بل قام بتسليمها بكل سهولة إلى فرناندو (1452-1516م) [7]

1()نبيلة حسن محمد: تاريخ الدولة العباسية,دار المعرفة الجامعية,الإسكندرية1993م,ص360.

2()الأندلس هى شبه جزيرة أيبيريا وتصل مساحتها إلى 600ألف كيلومتر مربع وجاء تسميتها من كلمة وندلس التى أطلقها العرب بعد الفتح الإسلامى لها ثم حرف إلى الأندلس وهي تضم أسبانيا والبرتغال حاليا.للمزيد راجع.حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس,ط5,دار الرشاد القاهرة2000م,ص263.

3() غرناطة هى مدينة أندلسية بدا بنائها زاوى بن زيرى وجعلها عاصمة لمملكته وقاعدة لسلطانه وقد أكمل حبوس بن ماكسن بنائها وتحصين أسوارها.للمزيد راجع.مريم قاسم طويل: مملكة غرناطة فى عهد بنى زيرى البربر(483-403 هـ/1012-1090 م),دار الكتب العلمية,بيروت1994م,ص22..

4() جمال يحياوى: سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين(1610-1492م),دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع,الجزائر2004,ص25.

5() هو محمد أبو عبدالله بن علي أبي الحسن بن سعد بن علي بن يوسف بن محمد الغني بالله النصري، ويعرف باسم أبو عبد الله الصغير وهو آخر ملوك الأندلس، ولد في غرناطة وعاش تحت رعاية أبية أبي الحسن، وحضر مع أبوة بعض الحروب فوقع في الأسر في إحدي المعارك سنة (888ه).راجع. الزركلي: الأعلام، ط15، ج6، دار العلم للملايين، بيروت 2002م، ص 290.

6()هي إحدي الدول الإسلامية التي حكمت في الأندلس مملكة غرناطة يسمي ملوك هذه الدولة بملوك بني الأحمر أو ملوك بني نصر ويعود نسبهم إلى الصحابي الجليل "سعد بن عبادة الأنصاري"، وقد حكمت هذه الدولة مملكة غرناطة مايزيد عن قرنين ونصف من الزمان حيث تم تأسيس هذه المملكة عام(635ه)، علي يد الغالب بالله أبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري، وانتهت هذه المملكة عام (897ه) علي يد الأسبان. راجع. ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، تحقيق: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1976م، ص 77. ؛ الشاطبي: الاعتصام، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، ج1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض 2008م، ص22.

7() فرناندو: ملك قشتالة وليون (1452 - 1516 م) تزوج بابنة عمه ايزابيلا سنة 1459 م، وكانت ابنة الملك هنري الرابع، وإنما تزوج بها ليتخذ ذلك وسيلة إلى نيل الملك بلا مشقة. ولما مات الملك المذكور اجتهد فرديناند أن ينادي بنفسه ملكاً، ولكن ايزابيلا كانت داهية مكارة، فرأى فرديناند أنّه لا يتمكّن من إخضاعها، فاتفق معها على أن يتشاركا في الحكم، وكانت أخلاقه سيئة، يدل على ذلك أعماله الرذيلة التي ملأ بها حياته، وكان يفخر أنّه خدع لويس الثاني عشر ملك فرنسة اثنتي عشر مرة. كما نقض عهده الذي أعطاه إلى كريستوف كولومبوس. ومن المحقق أنّه كان كلما عقد معاهدة مع أي شخص كان يترك فيها ألفاظاً يمكنه أن يتّخذها وسيلة لنقض العهد. وكان يضطهد العلماء الذين لا يوافقونه، ويغتالهم. محمود شيت: قادة فتح الأندلس، ج1، ص210.

وإيزابيلا (1451- 1504م) [1]ملكيّ قشتالة [2] وأراجون الذين مارسوا في هذه المملكة خصوصاً وفى الأندلس عامة نوعاً من الاضطهاد الذي وإن صح لنا أن نسميه بالإبادة العرقية ضد المسلمين فيما عرف بمحاكم التفتيش، وقد أخطا أبو عبد اللّه الصغير في عدة نقاط يمكن حصرها فيما يلي:

الخطأ الأول: وقوع أبو عبد اللّه الصغير في سياسة فرق تسد

وقع أبو عبد اللّه الصغير في شباك السياسة التي رسمها له ملوك أسبانيا والبرتغال المسيحيين وهي سياسة فرق تسد، حيث انفرد ملوك الممالك النصرانية بالممالك الإسلامية في الأندلس كل واحدة على حده، حتى يسهل لهم القتال معهم وحتى يسهل عليهم هزيمتهم لأنهم أدركوا أن من قوة المسلمين وحدتهم، ولذلك عملوا على تفريقهم وقد وقع أبو عبد اللّه الصغير في هذه السياسة بدون أن يدري حيث كانت الفرقة والتشرذم [3] تملأ ساحات مملكة غرناطة وذلك ما أدى إلى سقوطها.

الخطأ الثاني: عدم تقدير قوة وحصانة مدينة غرناطة

أخطأ أبو عبد اللّه الصغير عندما لم يدرك قوة تحصينات مدينة غرناطة، فالمدينة محاطة بسور ضخم يحيط بها مثل السور الذي كان يحيط بمدينة بغداد ويوجد بها 97

1() إيزابيلا الأولي" Isabella IIa Catholica" كانت تلقب بلقب "الكاثوليكية " تولت حكم مملكة قشـــتالة في الفترة (1474 – 1504م) وهي ابنة الملك " خوان الثاني " من زوجته البرتغالية " إيزابيلا ملكة البرتغال "، كانت إيزابيلا الأولي في بداية حياتها تعيش في الدير ولكن بعدما تزوجت عام(1469م) من "فريدريك الثاني " ولي عهد مملكة أرغوان ؛ تركت الدير، تولت إيزابيلا الأولي عرش مملكة قشـــتالة بعدما توفي أخوها "هنرى الرابع "، ولكن كانت فترة حكمها الأولي مليئة بالحروب الداخلية والأهلية ولكنها أســتطاعت أن تقضـــي علي تلك الحروب وعلي خصـــومها، وعندما تولي زوجها عرش أرغوان عام (1479م) أصبحت تعرف باسم "ملكة أرغوان "، وبعد ذلك شكلت هي وزوجها نواة للدولة الأسبانية باتحاد مملكتي أرغوان وقشـتالة، أعلنت هي وزوجها القيام بحرب الأسـترداد للقضـاء علي العرب في الأندلس، وتمكنت إيزابيلا من احتلال " مالقة – المرية – طرد المسلمين من غرناطة ". راجع.عزيزة فوال بابتي: موسوعة الأعلام " العرب والمسلمين والعالميين "، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 2009م، ص 239.

2() مملكة قشتالة: هي مملكة نصرانية كانت في الأندلس كانت تعرف باسم "بردوليا" ثم عرفت بعد ذلك باسم قشتالة(Castilla) وعرفت بذلك الاسم بسبب كثرة الحصون التي كانت تقام فيها وتمتد من الشرق حتى هضاب نافار ومن الجنوب حتى ولاية ريوخا، وكان سكانها الأصليون سكان البشكنس وأهل ألبة وكانت عاصمتها في البداية برغش.للمزيد من المعلومات حول مملكة قشتالة راجع. محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ط4، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1997م، ص 590-591.

3() راغب السرجانى: قصة الأندلس من الفتحى إلى السقوط,ج2, مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة, القاهرة2011, ص693.

قلعة و14 مدينة كبيرة، ناهيك عن القرى العامرة التي يصل عددها إلى 270 قرية[1]، فلم يدرك أبو عبد اللّه الصغير مدى قوة مدينة الطبيعية التي كان بإمكانها أن تقاتل وتقاوم فترة طويلة، ولكنه استسلم بكل سهولة وقدم المدينة على طبق من ذهب لفرناندو، حيث كانت المملكة تمتلك حصانة طبيعية، فقد كانت يحدها من الجنوب البحر المتوسط ومن الشرق مدينة مرسية ومن الغرب أرض الفرنتيرة، وقد ذكر المؤرخ ابن الخطيب بأن مملكة غرناطة يمكن قطعها سيراً بالطول في 10 أيام أما بالعرض في 3 أيام[2].

الخطأ الثالث: إسناد الأمر إلى غير أهله

أخطأ أبو عبد اللّه الصغير عندما تولى هو بنفسه منصب ملك مملكة غرناطة؛ لأنه لم يكن كفئًا لذلك المنصب، [3] لأن ذلك المنصب يحتاج إلى رجل ذا حنكة سياسية وقوة بأس، وكان أبو عبد اللّه الصغير يفتقد إلى الاثنين، بالإضافة إلى اعتماده على رجلين من نفس شاكلته كانا قد وسوسا إليه بضرورة تسليم مملكة غرناطة إلى فرناندو؛ لكي ينجوا بأنفسهم، وكانا هذان الرجلان يعملان في منصب غاية في الأهمية وهو منصب الوزير، فقد كان أحدهم يدعى "يوسف بن كماشة"[4] عمل على تثبيط همة أبو عبد اللّه الصغير والأخر يدعى "أبو القاسم المليخ"[5]، اللذين كانا لهم دوراً بارزاً في تسليم مدينة غرناطة بدون قتال[6].

الخطأ الرابع: عدم الصمود في الحصار

أخطأ أبو عبد اللّه الصغير عندما قرر تسليم مدينة غرناطة إلى فرديناند لأن أبا عبد اللّه كان يمتلك داخل المملكة قوة بشرية جبارة يصل عددها إلى 4مليون نسمة[7]، بينما كان

1() شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس,دار مكتبة الحياة,بيروت1983م,ص21.

2() إبراهيم بوغنامة ومباركة بورقعة: النظم السياسية والإدارية فى مملكة غرناطة فى عصر بنى الأحمر(897-635 هـــ/1238-1492 م), رسالة ماجستير منشورة,كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية,جامعة الشهيد حمه لخضر الوادى,الجزائر2017-2018م,ص7.

3()راغب السرجانى: المرجع السابق,ص693.

4() يوسف بن كماشة: هو أحد وزراء أبو عبدالله الصغير كان له دور كبير في سقوط غرناطة في يد الأسبان حيث عمل علي تثبيط همة أبو عبد الله الصغير وأقنعة أن يسلم مدينة غرناطة، وظهرت نيته بوضوح أنه يكن العداء الشديد للمسلمين في أنه تنصر بعدما أستلم الأسبان مدينة غرناطة وأصبح راهبا وانتظم في سلك الرهبان.راجع. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424ه، ص 14.؛عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ط4، ج5، مكتبة الخانجي، القاهرة 1997م، ص 315.

5() أبو القاسم المليخ: هوأحد وزراء أبو عبد الله الصغير، أنتدبة أبو عبد الله الصغير لكي يقوم بدور المفاوضات في تسليم مدينة غرناطة حيث كان من أكبر مشجعين لسياسية التسليم والخضوع، وتذكرة المصادر القشتالية باسم أبو القاسم عبد المليح أو أبو القاسم المليخ.راجع.محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج2، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة 2003م، ص 255.

6()على المنتصر الكتانى: إنبعاث الإسلام فى الأندلس,دار الكتب العلمية,بيروت2005م,ص54.

7()شكيب أرسلان: المرجع السابق,ص182,185.

الجيش المحاصر لمملكة غرناطة من قبل فرناند يبلغ عدده 50ألف مقاتل[1]، فقد تساهل أبو عبد اللّه الصغير كثيراً عندما قام بتسليم تلك المملكة، فقد كانت أمامه الفرصة أن يظل حاكمًا لها حيث أن لم تكن تنقصه الإمكانيات البشرية فلو حرك سكان المملكة للقتال، وذكرهم بأمجادهم السابقة لقاتلوا إلى جانبه ولم يكن يستطيع العدو أمام هذه الجموع الغفيرة حتى لو اتحدت جميع الممالك المسيحية ضدها لأنها قوة بشرية لا يستهان بها.

الخطأ الخامس: عدم توعية الناس

أخطأ أبو عبد اللّه الصغير عندما وقع في فخ رسمته له الممالك المسيحية وهو إنها استخدمه جهازها الجبار في الدعاية والإعلام ونشر الأخبار[2]الكاذبة ضد المسلمين في الأندلس حتى أسقطت الممالك الإسلامية واحدة تلو الأخرى وكان انقسام المسلمين على أنفسهم هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى زوال ملكهم[3]، فكان على أبي عبد اللّه الصغير أن يأخذ العبرة والعظة من سقوط الممالك الإسلامية السابقة له، وكان يجب عليه أن يسعى إلى امتلاك جهاز إعلامي مضاد؛ لكي يقف بالمرصاد إلى جهاز الممالك المسيحية وتكون مهمة هذا الجهاز هو لمٌ شمل المسلمين من جديد والدعاية إليه؛ لكي يرهب الممالك المسيحية وإن لم يستطع ذلك فتكون مهمة ذلك الجهاز على أقل تقدير هي تجميع سكان مملكة غرناطة حتى يكونوا جاهزين لملاقاة العدو في أي وقت ولكن أبا عبد اللّه الصغير لم يتعظ، ولم يقرأ التاريخ، ولم يستفد مما حدث مع المستعصم في تسليم بغداد وكأن التاريخ يعيد نفسه.

1()على المنتصر الكتانى: المرجع السابق,ص54.

2( ) الأخبار هي أنباء أو تقارير أو رويات عن أحداث أو وقائع مســـتجدة، حيث تعرف كلمة الأخبار في اللغة الإنجليزية بأنها "news"، وفي اللغة الفرنســـية تعرف كلمة أخبار بأنها "nouvelles"، وفي اللغة الروســـية تعرف كلمة الأخبار بأنها "novosti"، وفي اللغة الفنلدية تعرف كلمة الأخبار بأنها " uutinen"، وفي اللغة السويدية تعرف كلمة الأخبار بأنها " nyhet".راجع. تيرهي رانتانن: الأخبار "نشأتها وتطورها"، ترجمة: كوثر محمود محمد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2016م، ص 17.

3()محمد يحيى مطهر المضواحى: الأندلسيون عقب سقوط غرناطة"مأساة شعب لإكثر من مئة عام897 -1017 هـــ/1492-1609 م",كتوبيا للنشر والتوزيع,الإسكندرية2017م,ص33.